وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي علي كافي تندوف
معهد اللغة و الأدب العربي
قسم: اللغة و الأدب العربي التخصص: أدب جزائري
رقم: .....

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي

بعنوان:

تحليل الخطاب في القرآن الكريم عند التواتي بن التواتي من خلال تفسيره "الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين" سورة الصافات –قصة الذبيح أنموذجا-

إعداد الطالب(ة):
-بومدين عائشة
-بن سعيد سعاد

تحت إشراف:
الأستاذ كريفار محمود

لجنة المناقشة:

أ.د. لاطرش عبد الله	المركز الجامعي تندوف	رئيسا
أ. كريفار محمود	المركز الجامعي تندوف	مقررا
أ.باتني آسية	المركز الجامعي تندوف	مناقشا

السنة الجامعية: 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: [وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ] ....سورة الصافات، الآيات 99 – 113.

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي لتحليل الخطاب القرآني.

المبحث الأول: ماهية تحليل الخطاب القرآني

المطلب الأول: مفهوم الخطاب القرآني:

أولا– تعريف الخطاب لغة واصطلاحا:

–الخطاب لغة: الخطاب أحد مصدري فعل خاطب يخاطب مخاطبة خطاباً، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم[1] ورد في معجم الوسيط في مادة "خطب" ،"خاطبه" مُخاطبةً، وخطاباً، أي بمعنى كالمه وحادثه، ووجه إليه كلاماً، ويقال: خاطبه في الأمر: حدّثه في شأنه أي توجيه الكلام لمن يفهمه، والخطاب الكلام[2]، وقال تعالى في كتابه الكريم: **[فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ]**[3]. وجاء في لسان العرب لابن منظور والخطاب والمخاطبة، مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام، مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان، وقال الليث: والخُطبةُ مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خِطابةً[4]، كما ورد أيضا في كتاب العين في مادة "خطب": الخِطاب: مراجعة الكلام، والخِطبة مصدر الخطيب[5]، والخطاب محاورة وجدال ومحادثة الكلام.

ويرى **التهانوي** أن الخطاب: "توجيه الكلام نحو الغيرِ للإفهام، ثمّ نُقل إلى الكلام الموجَّه نحو الغير للإفهام. وقد يعبّر عنه بما يقع به التخاطب. قال في الأحكام: الخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[6].

أما فصل الخطاب فهو ما ينفصل به الأمر من الخِطاب، وفي القرآن الكريم في قوله تعالى: **[وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ]**[7]، والمراد بفصل الخطاب هنا هو الحكم بالبينة، أو اليمين، أو الفقه في القضاء، أو النُطق بأمّا بعدُ[8].

---

[1]–إدريس حمادي، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط 1، 1994، ص 21.

[2]–مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ص 243.

[3]–سورة ص، الآية 23.

[4]–أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الملقب بابن منظور، لسان العرب، دار صادر –بيروت، لبنان، المجلد الأول، بدون سنة نشر، مادة خطب، ص 361.

[5]–أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان–، 2003، ص 419.

[6]–محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج 1، مكتبة لبنان –بيروت–، 1996، ص 749.

[7]–سورة ص، الآية 20.

[8]– معجم الوسيط، المرجع السابق، ص 243.

وقال **الزمخشري** في كتابه أساس البلاغة، في مادة "خطب": خاطبه أحسن الخطاب، وهو مواجهة بالكلام. وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خِطبة جميلة[1]

ويرى **الإمام الجويني** أن: "الكلام والخطاب والتكلم والتخاطب والنطق واحد في حقيقة اللغة، وهو ما يصير به الحي متكلماً، ويعرف الخطاب بأنه: ما فُهم منه الأمر والنهي والخبر"[2].

وردت مادة خ. ط. ب. في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة موزعة على اثنتي عشرة سورة بصيغ متعددة، فمنها قوله تعالى: **[وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا]**[3].

وقوله تعالى:**[رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا]**[4].

وقوله تعالى: **[وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ]**[5].

وقوله تعالى: **[وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ]**[6].

– الخطاب اصطلاحا: يعد مصطلح الخطاب من المصطلحات الحديثة والتي ولجت عالم الدراسات النقدية العربية، التي لا زالت تحتاج إلى تسليط الضوء عليها، للكشف عن استعمالاتها المختلفة، وقد كان اعتماد مصطلح من طرف الفكر العربي النقدي، نتيجة لاحتكاكه بالتيارات الغربية ورغبة منه في مواكبة التغيرات المستحدثة على الساحة النقدية.

لقد عرف **الآمدي** الخطاب بأنه: "الكلام الذي يفهم المستمع منه شيئاً" وقال أيضا: " أنه اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[7].

وعرفه أيضا **الزمخشري** في كتابه تفسير الكشاف بأن الخطاب: " هو الذي ليس فيه اختصار مُخِلٌ، ولا إسهامٌ مُمِّل"[8].

---

[1]– أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، أساس البلاغة، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1998، ص 255.

[2]–الإمام الجويني، الكافية في الجدل، طُبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1979، ص 32.

[3]–سورة الفرقان، الآية 63.

[4]–سورة النبأ، الآية 37.

[5]–سورة هود، الآية 37.

[6]–سورة ص، الآية 20.

[7]–علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج 1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، السعودية، ط 1، 2003، ص 132.

[8]–أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت– لبنان، ط 3، 2009، ص 921.

ويقول جابر عصفور في كتابه عصر البنيوية، بأن الخطاب هو: "الطريقة التي تشكل بها الجمل نظاماً متتابعاً تُسهم به في نسق كلي متغير ومتحد الخواص، أو على نحو يمكن معه أن تتآلف الجمل في خطاب بعينه لتُشكل خطاباً أو سع ينطوي على أكثر من نص منفرد، ويوصف أيضاً أنه مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي تُنتجها مجموعة من العلامات، أو أنه مساقٌ من العلاقات المتعينة التي تُستخدم لتحقيق أغراض متعينة"[1]

وأشار فاتح الزيوان إلى أن الخطاب وهو: "نص محكوم بوحدة كلية واضحة، بحيث يتألف من صيغ وجمل متراصة منسجمة ومتوالية تصدر عن المخاطب الذي يود تبليغ الخطاب وإيصاله إلى المخاطب"[2].

كما يرى المرجاني أن المراد بالخطاب: "هو المبحوث عنه في علم الأصول مما يقع به التخاطب ويصح فيه التساؤل والتجاوب، ويمكن توجيهه للإفهام، وبيان المقصد والأفهام"[3].

يعتبر هاريس أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتحدى الجملة إلى الخطاب، فعرف الخطاب بأنه: "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[4]، والمراد بهذا التعريف عند هاريس أنه يسعى إلى تطبيق تصوره التوزيعي على الخطاب، والذي من خلاله تصبح كل العناصر أو متتاليات العناصر لا يلتقي بعضها ببعض بشكل اعتباطي، وفي مختلف مواطن النص، إذ أن التوزيعات التي تلتقي من خلالها هذه العناصر تعبر عن انتظام معين يَكشف عن بنية النص[5]

أما مصطلح الخطاب عند ميشال فوكو هو: "مصطلح لساني، يتميز عن نص وكلام وكتابة وغيرهـا بشكله لكل إنتاج ذهني، سواء كان نثراً أو شعراً، منطوقاً أو مكتوباً، فردياً أو جماعياً، ذاتياً أو مؤسسياً، وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسية، فهو ليس ناتجاً بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها أو يحمل معناها أو يحيل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفي ما"[6].

---

[1]-إديث كرزويل، ترجمة جابر عصفور، عصر البنيوية، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 1، 1993، ص 379.

[2]-فاتح الزيوان، مصطلحات للخطاب والنص، مجلة كتابات معاصرة، ع 70، 2000، ص 97.

[3]-إدريس حمادي، المرجع السابق، ص 25.

[4]-سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع –بيروت–، ط 3، 1997، ص 17.

[5]-المرجع نفسه، ص 18.

[6]-ميشال فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير، بيروت –لبنان، 2010، ص 4.

ثانياً–مفهوم الخطاب القرآني: هو خطاب الله تعالى التي تضمنها كتابه، نحو قوله تعالى: ﴿ **أَقِيمُوا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وأطيعوا الله ورسوله**﴾.

فالخطاب القرآني خطاب إلهي معجز، ومن ثم يمتلك من الأدوات ما يجعله مؤهلا –وبشكل دائم – لأن يكون من أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب الأنساق الحضارية، إنه رسالة ربانية لكل الناس دون تحيز أو طائفية أو جغرافية معينة، فهو خطاب هداية وخير، وهذه الخيرية لم تكن فيه امتيازاً لطبقة أو طائفة بل جاء لعامة الناس[1].

وقد عرف أيضاً بأنه خطاب رباني صادر منه سبحانه وتعالى، فهو الخطاب المنزل من الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ، ويُعد من أعظم الخطابات على وجه الأرض، من حيث الإعجاز اللغوي والمفردات والمعاني، كما أنه معصوم من الخطأ والتحريف، وغير قابل للترجمة حرفيا، وإنما تترجم معانيه وتشرح مفرداته وتراكيبه[2]، وهو رسالة إبلاغية ربانية عالمية لكل الناس، أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾[3]، وفي هذا المقام يقول سيد قطب، لقد جاء هذا الكتاب لينشئ أمة وينظم مجتمعاً، ثم لينشئ عالما ويقيم نظاماً، فدعوته عالمية إنسانية لا تعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس، وشاملاً لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدل، مستعداً لتلبية الحاجات المتجددة التي يعلمها خالق البشر، وهو أعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير[4].

إن الخطاب القرآني خطاب يُخاطب العقول ويناجي القلوب ويحمل مضامين تفصح عن مراد الله تعالى في توحيد حياة الناس، إنه خطاب متدفق عبر مسارات الأزمنة والأمكنة المتلاحقة، نصٌ فريد في الحضارة العربية الإسلامية وبه تميزت عن غيرها، وأصواته منسجمة متماسكة، ألفاظه واحدة لا تقبل التعدد وتركيباته وإيقاعاته مطلقة ولا نهائية، رغم ذلك فقد أخذت عنه كل الخطابات والأجناس[5]، وليس لأحدٍ

---

[1]–لطفي فكري محمد الجودي، جماليات الخطاب في النص القرآني –قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين–، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2014، ص 93.

[2]–محمد بوهند، جماليات الخطاب القرآني وإعجازه البياني دراسة بلاغية لآيات الأسماء الحسنى، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القرآن الكريم والدراسات الأدبية، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية، جامعة تلمسان، 2017/2016، ص 34.

[3]–سورة الفرقان، الآية 1.

[4]–سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 32، 2003، المجلد 4، ج 17، ص 2401.

[5]–بن يحي ناعوس، تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص –دراسة تطبيقية في سورة البقرة–، أطروحة دكتوراه في لسانيات النص، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2013/2012، ص 28.

أن يأتي ولا بآية من مثله، فقد تحدى القرآن بذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

يوصف الخطاب القرآني بأنه خطاب لفظي متعالي، يمتلك فضاءً داخلياً ذا مقومات وأسس تتمثل في حركة الحوار بين أصناف شتى من المخاطبين، فقد احتوى على كثير من الأفعال الكلامية التي أنجزتها هذه الشخصيات على اختلافها سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة[2].

فالخطاب القرآني لا نهائي الدال والمدلول أو التركيب، خطاب يميل إلى مرجعية ثلاثية، فهناك مرجعية الدال، ويكون النص على مثال مرسله، وهناك مرجعية المدلول ويكون النص فيها على مثال متلقيه، وهناك أخيرا مرجعية النص نفسه على نفسه، ويكون النص فيها دالا ومدلولاً، خالقاً لزمنه الخاص ودائر مع زمن المتلقين في كل العصور، وسمة القراءة في كل ذلك أن كل واحد من هذه المرجعيات تستقل بذاتها وتطلب الأخرى في الوقت ذاته[3].

ثالثاً: مفهوم تحليل الخطاب القرآني: إن الخطاب القرآني باعتباره خطاباً لغوياً يهدف إلى مخاطبة كل الناس، وحامل الخطاب هو الرسول الكريم ﷺ، ومرسل الخطاب هو الله سبحانه وتعالى، والمرسل إليهم هم الناس جميعاً، والرسالة هي القرآن الكريم، والأداة التي صيغ بها الخطاب هي اللغة العربية، أما القناة التي مر عبرها الخطاب إلى العالمين فهو الرسول ﷺ[4]، وهو مبلغ الخطاب القرآني قوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ]**[5]، وقوله تعالى: **[وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ]**[6]، كما أن الرسول ﷺ يبين للناس ما نزل إليهم، كما قال الله تعالى: **[وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ**

---

[1]-سورة البقرة، الآية 23.

[2]-إيمان جربوعة، آليات تحليل الخطاب القرآني في ضوء المناهج اللسانية الحديثة –قراءة في بعض إجراءات المنهج التداولي، مجلة رفوف، جامعة أدرار، الجزائر، المجلد الرابع، العدد 1، مارس 2016، ص 347.

[3]-بن يحي ناعوس، المرجع السابق، ص 28.

[4]-زينة فاضل مهدي و مرتضى جبار عبد نصار الجنابي، برنامج مقترح قائم على تحليل الخطاب القرآني لتنمية مهارات التذوق الأدبي لدى طلاب المرحلة الثانوية، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 27، العدد 1، 2019، ص 5.

[5]-سورة المائدة، الآية 67.

[6]-سورة الأنعام، الآية 19.

يَتَفَكَّرُونَ][1]، وقوله تعالى:[وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ][2].

إن أهمية ذكر صفات مبلغ الخطاب تدل على أن به من الصفات ما يجعله أهلاً لذلك التبليغ، وقد وُصف الرسول ﷺ بأنه أُسوةٌ لقوله تعالى: [لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا][3]، ولا شك أنه لا يكون أسوة إلا إذا كان له من الصفات ما يؤهله للاصطفاء لقول الله تعالى:[ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ][4]، ولتلك الصفات أثرٌ بالنسبة للمُخاطَب بفتح الطاء المهملة يدفعه إلى قبول الخطاب عن محبة منه، وإذا كان الترغيب والترهيب يؤثر في نفس المخاطَب ويحمله عن امتثال ما يتضمنه الخطاب من الأوامر، والانتهاء عن النواهي، فإن أساس الإتباع يكون محبة من المكلف للمخاطِب لله عز وجل بكسر الطاء المهملة، والمبلِغ ﷺ[5] لقوله تعالى: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ][6]، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة t أن النبي ﷺ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»[7].

وقد سمى الله U كتابه نوراً لقوله تعالى:[وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ][8]، وسمى كذلك نبيه محمد ﷺ نوراً فقال في محكم تنزيله: [قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ][9]، وهذا لأن الكتاب يهدي ويبين وكذلك الرسول ﷺ، وإذا علم المكلف أو المخاطَب ذلك تبيّن له ما للمُبلِغ ﷺ من مكانة ومنزلة وتأهل للتبليغ، وتفعيل للخطاب القرآني، ومن ثَم كيفية التعامل مع المبلغ ﷺ من

---

[1]-سورة النحل، الآية 44.

[2]-سورة النحل، الآية 64.

[3]-سورة الأحزاب، الآية 21.

[4]-سورة الحج، الآية 75.

[5]-عبد القادر محمد المعتصم دهمان، أساليب الخطاب في القرآن الكريم –دراسة تتناول تنوع أساليب الخطاب وأساليب الإنشاء الطلبي في القرآن الكريم-، طبع بمجلة الوعي الإسلامي، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط 1، 2015، ص 83.

[6]-سورة آل عمران، الآية 31.

[7]- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، دار الريان، ط 1، 1986، القاهرة، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ، ج1، ص 74.

[8]-سورة الشورى، الآية 52.

[9]-سورة المائدة، الآية 15.

حيث التقدير والتوقير، يُستفاد ذلك من الخطاب القرآني نفسه، فإنّه يدل على أن الله U أعلى من ذكر محمد ﷺ حيث قال: **[وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ]**[1]، وذلك مما يحمل المخاطبين على التقدير والتوقير والإتباع والنصرة[2].

ونزل الخطاب القرآني إلى المتلقي منزلة حضورية فاعلةً، لقد واجهت الآيات روح المتلقي وعقله وضميره، وخاطبته من نقطة قريبة من مداركه وحملته إلى عقيدتها التوحيدية بتوظيف القول الفكري والشعوري الذي لا يمكن للعقل أن يغمز في جوهريته[3]، ويتألف الخطاب من عدة عناصر هي:

أ-المرسل (الله).

ب-المرسل إليه (الناس والعباد).

ج-حامل الخطاب (الرسول ﷺ).

د-الرسالة (القرآن الكريم).

المطلب الثاني: أنواع الخطاب القرآني وخصائصه

أولا: أنواع الخطاب القرآني:

لقد شمل الخطاب القرآني أصناف العالمين من المخاطِبين على تنوع أجناسهم وألسنتهم وأديانهم التي يدينون بها، واتسم بالشمولية في نداءاته وتوجهاته، حيث لم يجعل نداءه إلى فئة دون فئة، أو جنس دون جنس، أو أهل دين دون غيرهم، فتفرد في أسلوبه وبلاغته وتصريفه وتنويعه، واستحوى وجه بديع من أوجه الإعجاز القرآني، لقد خاطب الله I الناس بصيغة العموم في بعض الآيات القرآن، وخاطب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في بعض آخر، وخاطب أصناف الناس من المؤمنين والكفار والمشركين وأشار إلى المنافقين في آيات أخرى، وخُوطب بالناس عامة والمؤمنين خاصة، فكان يدعو للمطالب العالية والفضائل السامية والتشريعات الهادية الموجهة إلى كل خير في أسلوب خطابي قرآني، فكان ذلك أعظم الهداية والإرشاد للقلوب الغافلة والعقول الحائرة، والنفوس الضالة.

وقد أجمع المسلمون على أن القرآن الكريم كله كلام الله بمعنى أن الله تعالى أنزله على محمد ﷺ، لا بمعنى أن كله خطاب من الله تعالى، فإن مثلاً **[إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ]**[4]، ليس إلا خطابا من العبد، فقال العلماء: إن الله علم هذه السورة كأنه تعالى قال: قولوا هكذا، ولكن ليس هناك كلمة قولوا، فكيف العلم بتقدير هذا المعنى؟ وكذلك السؤال فيمن إليه

---

[1]-سورة الشرح، الآية 4.

[2]- عبد القادر محمد المعتصم دهمان، المرجع السابق، ص 85.

[3]-زينة فاضل مهدي و مرتضى جبار عبد نصار الجنابي، المرجع السابق، ص 5، وأيضا سليمان عشراتي، الخطاب القرآني (مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي)، ديوان المطبوعات الجامعية –بن عكنون- الجزائر، 1998، ص 20.

[4]-سورة الفاتحة، الآية 5.

الخطاب، فإن للخطاب جهتين: 1. ممن؟ 2. وإلى من؟ وكلتاهما ربما تعم والمراد الخاص، وربما بعكس الأمر، وإذ يختلف المعنى كثيراً باختلاف جهتي الخطاب، وعمومه، وخصوصه[1].

ذكر **الإمام الزركشي** في كتابه البرهان في علوم القرآن "الخطاب في القرآن يأتي على نحو أربعين وجهاً"[2]، وفيما يلي نذكر بعض من هذه الأوجه:

1-خطاب عام والمراد به العموم في قوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ]**[3]، وقوله تعالى:**[إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]**[4]، وقوله تعالى:**[إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا]**[5].

2-خطاب الخاص والمراد به الخصوص: من ذلك قوله تعالى: **[أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ]**[6] وقوله تعالى: **[هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ]**[7]، وقوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ]**[8].

3-خطاب الخاص والمراد به العموم: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ][9]، ومعنى هذه الآية عند الإمام الزركشي: أن الله I افتتح الخطاب بالنبي ﷺ والمراد سائر من يملك الطلاق[10]، **[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ**

---

[1]-خالق داد مالك، معين الحق، الخطاب القرآني وأنواعه –دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني-، مجلة القسم العربي، جامعة بينجاب، لاهور –باكستان-، العدد 22، 2015، ص 61.

[2]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة، 2006، ص 455.

[3]-سورة فاطر، الآية 3.

[4]-سورة الأنفال، الآية 75.

[5]-سورة يونس، الآية 44.

[6]-سورة آل عمران، الآية 106.

[7]-سورة التوبة، الآية 35.

[8]-سورة المائدة، الآية 67.

[9]-سورة الطلاق، الآية 1.

[10]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المرجع السابق، ص 455.

ِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ]"[1]، وقال أبو بكر الصيرفي: كان ابتداء الخطاب له، فلما قال في الموهوبة (خَالِصَةً لَّكَ) علم أن ما قبلها له ولغيره ﷺ[2].

4-خطاب العموم والمراد به الخصوص: في قوله تعالى: [وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا][3]، هنا قوله تعالى (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)، فالخطاب هنا عام لجميع النساء (البالغة، الصغيرة، العاقلة، مجنونة)، ثم جاء التخصيص في آخر الآية في قوله تعالى (فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا) فخصها بالعاقلة البالغة[4].

5-خطاب الجمع بلفظ الواحد: في قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ][5] وقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ][6]، وكان الحجاج يقول في خطبته: "يا أيها الإنسان، وكلكم ذلك الإنسان"[7].

6-خطاب الواحد بلفظ الجمع: في قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ][8]، فهذا خطاب للنبي ﷺ وحده، إذ لا نبي معه قبله ولا بعده[9].

7-خطاب الواحد بلفظ الاثنين: في قوله تعالى: [قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا][10]، قال الخطاب لموسى وحده[11]. وقوله تعالى:[أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ][12].

8-خطاب الاثنين بلفظ الواحد: في قوله تعالى: [قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ][13]، والمراد بهذه الآية عند الإمام الرازي أن فرعون خاطب الاثنين في قوله (فَمَن رَّبُّكُمَا) ثم وجه

---

[1]-سورة الأحزاب، الآية 50.

[2]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المرجع السابق، ص 455.

[3]-سورة النساء، الآية 4.

[4]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المرجع السابق، ص 457.

[5]-سورة الانشقاق، الآية 6.

[6]-سورة الانفطار، الآية 6.

[7]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المرجع السابق، ص 463.

[8]-سورة المؤمنون، من الآية 51 إلى 54.

[9]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المرجع السابق، ص 464.

[10]-سورة يونس، الآية 89.

[11]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المرجع السابق، ص 466.

[12]-سورة ق، الآية 24.

[13]-سورة طه، الآية 49.

النداء إلى أحدهما وهو موسى u لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه، وإما لأن فرعون كان بخبثه يعلم الرثة التي في لسان موسى u فأراد استنطاقه دون أخيه لما عرف من فصاحته[1].

فالخطاب القرآني له أنواع كثيرة ومتعددة وأغراضه متنوعة، إذا لكل خطاب سياقه الصريح أو السيميائي الذي يحدد دلالته، فالله U قال كل كلمة بقدر وحكمة حيث أنها أنشأت في قالب بلاغي يصعب على المتلقي العادي فهم معناه، لهذا نجد ما يسمى برهاب التفسير والتحليل نظرا لصعوبة الخطاب القرآني وقدسيته، فليس كل مذهبٍ قادر على التحليل فهذا النوع من الخطاب يختلف عن الخطاب العادي الذي يدركه المتلقي إما بوعي أو غير وعي، بل هو خطابٌ خاصٌ من حيث الدلالة ومن حيث القالب اللفظي[2].

ثانيا: خصائص الخطاب القرآني:

الخطاب القرآني توجه بشكل مباشر هادف إلى الإنسان في كينونته الكاملة عقلاً ونفساً ووجداناً وعاطفة، يقول عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم –نظرات جديدة في القرآن الكريم–: "وفي النفس الإنسانية قوتان: قوة تفكير . وقوة وجدان. وحاجة كل واحد منهما غير حاجة أختها، فأما إحداهما فتنقب عن الحق لمعرفته. وعن الخير للعمل به، أما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطير إلى نفسك بهذين الجناحين، فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معاً"[3].

لقد عُني أسلوب الخطاب القرآني باهتمام العربي فخر جبابرة البيان صاغرين لبلاغته، لأنه كلام الله، وتفرد أسلوبه بمعرفة دقيقة لعلم البلاغة والفصاحة، فقد امتاز بخصائص أفتتنوا بروعة تركيبه وصوره وفطرة لغته وطبيعة تعابيره الشائقة، ومن جملة هذه الخصائص:

1–فصاحة الألفاظ: إن المتأمل في القرآن الكريم يجد أن حروف ألفاظه متآلفة، فصيحة، معبرة، ذات البليغ الرصين، مهذبة الطباع، فقد أشار علماء العربية أن ألفاظ القرآن لُبُّ كلام العرب وزبدته، ألفاظه سهلة ميسرة بعيدة عن الغريب الحوشي[4]، ففي

---

[1]– محمد الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب تفسير الفخر الرازي، ج 18، دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع، ط 1، 1981، ص 66.

[2]–مختار درقاوي، حيزية كروش، تحليل الخطاب القرآني في ضوء المنهج السيميائي، مجلة العمدة في ليسانيات وتحليل الخطاب، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، المجلد 1، العدد 2، 2017، ص 98.

[3]–محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم –نظرات جديدة في القرآن–، دار القلم –الكويت–، 2008، ص ص 113 – 114.

[4]– علمي عبد الله، سمات الخطاب القرآني –دراسة في الأسلوب–، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية، دار المنظومة، 2019، ص 58.

القـرآن الإبـداع ظـاهر في احتوائـه أفصـح الألفـاظ الرائعـة المعـبرة، الـتي يتلاقاهـا السـمع أحسـن القبـول، وإن تميـزت بعـض ألفاظـه بالطـول لقلـوه تعـالى:[فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ][1]، قـال مالـك بـن نبي في كتابـه الظـاهرة القرآنيـة: "والحـق أن القـرآن الكـريم منـذ ثلاثـة عشـر قـرنا يعـد أكمـل نمـوذج أدبي اسـتطاعت اللغـة العربيـة أن تفصـح عنـه، فلـيس بـه أدنى اخـتلال، بـل إن الاتسـاق البـديع شـامل لجميـع نواحيـه، في روحـه الجليـل الغـامر، وفي نـذره الرائعـة المـؤثرة، وفي مشـاهدته البـاهرة، وفي حـلاوة وعوده الفائقة، وفي فكرته المتسامية المتشامخة، وأخيراً في أسلوبه البهي المعجز[2].

2–مناسبة الألفاظ للمعاني: لقد اكتسى القرآن لباسا فضفاضا من الجدة والروعة وظهرت على صفحته حـلاوة وطـلاوة، لا يمله قارئه، ولا يسأمه سـامعه، ولا يضج من تصريـفه تاليه، وما ذاك إلا لأن القرآن اعتنى بتصريف القول فجاء بالمعنى الواحد بألفاظ متعددة وطرق مختلفة، وهذه الألفاظ بديـعة جديـدة مميزة، وهذا ما تميز به أسلـوب الخطـاب القرآني في تخيير الألفـاظ للمعاني المتداولة، إذ لم يتمكن البلغاء والفصحاء في اختيار الألفاظ المثلى للمعاني المألوفة[3].

وذكـر **الشـيخ الزرقـاني** في كتابـه مناهـل في علـوم القـرآن[4] علـى نمـاذج تصـريف القـول في القرآن، سنشير إلى بعض منها:

أ– تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين بالوجوه الآتية:

–الإتيان بصريح مادة الأمر، نحو قوله تعالى:[إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا][5].

–الإخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين، نحو قوله تعالى: [كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ][6].

–الإخبار بكونه على الناس، نحو قوله تعالى: [وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ][7].

–والإخبار عن المكلف بالفعل المطلوب منه، نحو قوله تعالى: [وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ][8].

---

[1]–سورة البقرة، الآية 137.

[2]–مالك بين نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، ط 4، 2000، ص 275.

[3]–فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، خصائص القرآن الكريم، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 10، 2000، ص 42.

[4]–محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، ط 1، 1995، ج 2، ص 250.

[5]–سورة النساء، الآية 58.

[6]–سورة البقرة، الآية 183.

[7]–سورة آل عمران، الآية 97.

[8]–سورة البقرة، الآية 228.

–ترتيب الوعد والثواب على الفعل نحو قوله: **[مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ]**[1].

ب– تعبيره عن النهي بالوسائل الآتية:

–الإتيان في جانب الفعل بمادة النهي، نحو قوله تعالى:**[إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ]**[2].

–الإتيان في جانبه بمادة التحريم، نحو قوله تعالى: **[إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ]**[3].

–والنهي عنه بلفظ لا، نحو قوله تعالى: **[وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]**[4].

3–حسن النظم: النظم أكثر ما يشد ويجدب في الخطاب القرآني، به فاق جميع أنواع الخطاب لأن الكلمة تحسن في موطن وتتألق وتتفوق بنظمه رونقا وجزالة، إن الخطاب القرآني سلسلة من الألفاظ لا يمكن الاستغناء عن كلمة، فلو حذفنا كلمة أحدث خللاً في المعنى، فهذه الكلمات القرآنية لها مقصد إبلاغي ذات صياغة مقصودة ومحكمة، وقد بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وصوره، مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر، فإذا تأملت فيه وجدت منه جسماً كاملاً تربط الأعصاب والجلود والأغشية بين أجزائه ولمحت فيه روحاً عاماً يبعث الحياة والحس على تشابك وتساند بين أعضائه، فنجد بين كلمات الجملة الواحدة من التآخي والتناسق، ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب، وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط، ما جعلها وحدة صغيرة متآخذة الأجزاء متعانقة الآيات، وبين سور القرآن من التناسب ما جعله كتاباً سوي الخلق حسن السمت[5]، لقوله تعالى: **[قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ]**[6].

فالقرآن ليس على أعاريض الشعر في رجزه ولا في قصيده، وليس على سنن النثر المعروف في إرساله، فيقول القاضي عياض: من وجوه إعجاز القرآن صورة نظنه العجيب والأسلوب الغريب، وفخامة معانيه، وطريقة النظم الواردة فيها لا تشبه الشعر ولا الخطب، فهو مخالف لأساليب كلام العرب[7].

---

[1]–سورة الحديد، الآية 11.

[2]–سورة الممتحنة، الآية 9.

[3]–سورة الأعراف، الآية 33.

[4]–سورة الأنعام، الآية 152.

[5]– محمد عبد العظيم الزرقاني، المرجع السابق، ص 248.

[6]–سورة الزمر، الآية 28.

[7]–شهاب الدين الخفاجي المصري، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، وبهامشه شرح الشفا لعلي القاري رحمه الله، ج 2، المطبعة الأزهرية المصرية، ط 1، 1337 هـ، ص 495.

ويقول **الباقلاني** في كتابه إعجاز القرآن: "إن القرآن بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه، وقال أيضا: فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه، منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآني على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه مذاهبه خارجا عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا الطول، وعلى هذا القدر"[1].

4-دقة الفواصل القرآنية: إن فواصل الخطاب القرآني ترتبط ارتباطاً وثيقاً ودقيقا بالمعاني، فهي تمنحه طابعاً خاصاً ومميزاً، وذكر **الزركشي** تعريفا للفواصل للقاضي أبوبكر، حيث قال: بأنها حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، وعرفها **الزركشي** بقوله: هي كلمة آخر الآية: كقافية الشعر، وقرينة السجع، فتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر آية فصل بينها وبين ما بعدها، ولم يسموها أسجاعاً[2].

---

[1]-أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، 1971، ص 69.

[2]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المرجع السابق، ص 50.

المبحث الثاني: أنماط الخطاب القرآني وجمالياته.

المطلب الأول: أنماط الخطاب القرآني:

يعتبر الخطاب القرآني نظام بلاغي لأنه كلام الخالق عز وجل، إذ كل كلمة فيه لها وقع على النفوس، ينبهر لها قراء الكتاب، يُنتج قيماً ذات أبعاد معرفية متعددة، هو نمط تعبيري خاص يتكون من اللغة في تراكيبها وأنساقها وفي دلالاتها، وهذا ما يحمل المتلقي على التعامل مع بنية الخطاب وفق ما يتطلبه سياق ممارسة الخطاب[1].

فالإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خص الله به كتابه من حسن التأليف وبراعة التركيب وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف إلى غير ذلك من محاسنه؛ التي عجز الخلق عنها؛ لأن البلاغة تعتبر من أهم وسائل إدراك الإعجاز القرآني، وذلك بأن يتمكن البليغ فيها ويتقنها ويفهم أساليبها[2]، ولقد كان لعلم البلاغة فضلا كبيراً في بيان أساليب العرب وتراكيب لغتهم وما تمتاز بهم من قوة وجمال في اللفظ والمعنى والعاطفة والخيال، مما أعان كثيراً على فهم تراثنا وتقدير لغتنا وبيان إعجاز كتابنا الكريم، بل إن دراسة الإعجاز وإدراكه كان الهدف الأسمى الذي من أجله وُضع علم البلاغة، وفي هذا يقول ابن خلدون: واعلم أن ثمرة هذا الفن، إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن[3]، ويقول أيضا ابن أبي الأصبع المصري: "ما رأيت ولا رويت في الكلام المنثور والشعر الموزون كآية من كتاب الله تعالى استخرجت منها أحداً وعشرين ضرباً من البديع، وعددها سبع عشرة لفظة، في قوله تعالى: **[وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]**[4]"[5].

---

[1]-إسماعيل زاوي، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة ين النص والسياق –قصص أولي العزم من الرسل عليهم السلام "أنموذجاً-، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تحليل الخطاب وعلم النص، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، 2017/2016، ص 26.

[2]-أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، دار إحياء الكتب العربية –عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط 1، 1952، ص 5. وانظر أيضا: علمي عبد الله، المرجع السابق، ص 55، وانظر أيضا: نعمان شعبان علوان، التحليل البياني لأبلغ آية في كتاب الله **[وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]**، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، 2010، ص 886.

[3]-بالحيا فضيلة، تحليل الخطاب التعليمي لتلاميذ السنة الثانية متوسط في مادة اللغة العربية –مقاربة تداولية-، مذكرة لنيل شهادة ماستر في لسانيات الخطاب، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة سعيدة، 2017/2016، ص 23.

[4]-سورة هود الآية 44.

[5]-ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، تقديم وتحقيق، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القسم الثاني، ط 2، 1957، ص 340.

لقد احتوى القرآن الكريم على قيم كبرى بعثها الله إلى خلقه في قوالب لغوية بشرية ذات محمولات دلالية متعددة، استطاعت كخطاب أن تثبت قيمها من خلال تشكيلات لغوية منسوجة بشكل بليغ[1].

أما أسلوبه فمتكامل من جميع نواحيه فهو قمة في بنائه تجد بين الحرفين ملاءمة وحبكة، وبين مفرداته تناسباً وائتلافاً وبين الجمل ترابطا وتكاملا، فهو معجز اتصالا وانفصالاً، أما الانفصال فعباراته الدالة على الحقيقة؛ والمجاز المعبرة بأساليب التشبيه؛ والاستعارة، والكناية، أسلوب لين إذا أراده الله كذلك، وعنيف قاصف إن أراده ذلك، بينما الاتصال يظهر في طريقة تركيب الجمل المترابطة مع أخواتها بشكل يُجسد مشاهد تختلف من موضع لآخر لا سبيل للبشر بها، ولا طاقة لهم في إتباعها أو السير على منوالها، .وقد تميز تفرد أسلوبه بأنه دائم على نسق واحد في السمو والجمال لفظاً ودقة، مع تباين موضوعاته المختلفة، فالقرآن تشريع وقصص وأخبار غيب ومواعظ خاطب بها صنوفاً مختلفة من الناس، تتعاقب مع تعاقب الزمان، ويهدف الخطاب القرآني في سياقه إلى الشمولية على الحقيقة التعليمية التشريعية، مُخاطباً العقول والضمير، بغية الإقناع والتأثير دون إكراه، راوح بين بلاغتي الإمتاع والإقناع لاستمالة العقل والمنطق، يقيم بالحجة والبرهان في الآن نفسه[2]، وهذا ما تميزت به الخطابات القرآنية مخاطبة العقل والعاطفة الملائمة، قال الله تعالى: **[أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ]**[3]، هذه حكمة الله لكتابه بغية إحداث التواصل والتحاور ليجسد منهج الحياة لذا جعله في تركيبته اللغوية خطاباً منطقياً من حيث هو معان متلقاة في لغة يفهمها البشر هي اللغة العربية، من حيث واردة في مبان يدرك منها الناس المعاني المراد تبليغهم إياها، لكن حسب اصطلاحهم على تأدية المعاني التي يمكنهم أن يدركوها بواسطة المباني التي تتخذها الطبيعة البشرية طريقاً للوصول إلى هذه المعاني أو تبليغها[4]، حتى يتم بها التأثر ويتحقق لها التأثير في قوله تعالى: **[أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ، لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ]**[5].

فالخطاب القرآني خاطب الوجدان ترغيبا وترهيباً، فالقرآن احتفى بهذه الوسيلة لما لها من أثر عاطفي قوي، إما بالتحبيب لرضا الله تعالى، أو بالتخويف من سخطه، فالخطاب كان مع النفس البشرية التي ترغب في نعيم المؤمنين، وتحذر من عذاب الكافرين لقوله تعالى: **[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا**

---

[1]- إسماعيل زاوي، المرجع السابق، ص 26.

[2]-علمي عبد الله، المرجع السابق، ص ص 56 – 57.

[3]-سورة الملك، الآية 14.

[4]-إسماعيل زاوي، المرجع السابق، ص 23.

[5]-سورة الأنبياء، الآية 21 -22.

أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا][1]، فالخطاب القرآني يعرض مشهداً للمعاني والأسلوب بليغ يمثل نموذجاً للحظات الشدة والحرج، لأن الشعور بيد الله في الخضم أقوى وأشد حساسية من خفقان القلوب الواجفة المتعلقة بكل هزة والتعبير يلمس القلوب لمسة قوية، هكذا بين القرآن خطابة الإقناعي على أصول الواقع الكون والإنساني، وهو ما يبدو في استخدام الآيات الكونية مقدمات في الاستدلالي على الحقائق العقيدة، واستخدام العبر التاريخية باعتبارها وقائع إنسانية في الإقناع، فقد جاء صورة الخطابات متوافقة مع أحوال المخاطبين، متناسبة مع أحوالهم جميعاً رغم اختلاف توجهاتهم الفكرية والعقدية[2].

كما تميز الخطاب القرآني بسمة الحوار في صيغة التواصل والتفاهم ووسيلة من وسائل التبليغ والدعوة، فعمد لهذا الأسلوب كافة المجتمعات الشعوبية والبلغاء والفصحاء لدى صناعتهم وانتهجه المفكرون في تعليمهم وصاغه الأنبياء والرسل في الدعوة، فاعتبر حلقة وصل لتحقيق أهداف وغايات تفاعل اشتراكي بين الشعوب من أجل السلم والعدالة، وتظهر أهمية الحوار في تأسيس الصيغة المعرفية المتجددة في تلاقح الأفكار وامتزاجها وإزاحة الستار عن الرؤى المخالفة ومواطن التفاهم[3]، فهذا ما يعكسه جدل حقيقة القرآن لدى البعض في الكثير من النصوص والآيات المحكمات لقوله تعالى:**[وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ]**[4]، وقوله تعالى: **[وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ]**[5].

فموضوع الحوار في القرآن الكريم من الموضوعات الهامة التي تدور أساساً على الإيمان بالله ورسله وعلى وحدانيته وأحقيته بالعبادة دون غيره، والإيمان بالبعث والجزاء، وهذه العناصر الثلاثة من أهم قضايا القرآن الكريم، ولم يترك باباً إلا وقد تناوله بالأدلة القطعية والبراهين الساطعة التي حاج بها خصومه في سورة جلية واضحة، فهذا الحوار قائم على العقل، لا على القوة كوسيلة إلى التعامل مع المخالفين، والحوار أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله عز وجل، وفي قوله: **[أَدْعُو إِلَى اللَّهِ]**[6] تنبيه على الإخلاص، لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق

---

[1]-سورة النساء، الآية 56- 57.

[2]-إسماعيل زاوي، المرجع السابق، ص 26.

[3]-لطفي فكري محمد الجودي، المرجع السابق، ص 119.

[4]- سورة المائدة، الآية 48.

[5]-سورة يونس، الآية 19.

[6]-سورة يوسف، الآية 108.

فإنما يدعو إلى نفسه، والداعي إلى الله تعالى هو المخلص الذي يريد أن يوصل الناس إلى الله، فالحوار في القرآن الكريم نموذج حي لمدى احترام الإسلام والمسلمين لغيرهم، وجوداً وعقيدة، وقد حكا لنا سوراً مختلفة للحوار[1]، ومن النماذج ما وجهه –سبحانه– إلى ملائكته الكرام من أقوال وما قالوه في الرد على خالقهم U كما في قول الملائكة لله I في قوله تعالى: **[وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ]**[2]، و هنا يقول الدكتور طنطاوي في كتابه أدب الحوار في الإسلام أن خطاب الله تعالى لملائكته بأنه سيجعل في الأرض خليفة، ليس المقصود به المشورة، وإنما خاطبهم بذلك من أجل ما ترتب عليه من سؤالهم عن وجه الحكمة من هذه الخلافة، وما أجيبوا به بعد ذلك، وذلك من أجل تعليم العباد للمشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها، وعرضها على ثقافتهم وعقلائهم، وإن كان هو سبحانه بعلمه وحكمته البالغة عنيا عن التشاور، ورد الملائكة بقولهم هذا إنما صدر على وجه استطلاع الحكمة في خلق نوع من الكائنات يصدر منهم الإفساد في الأرض وسفك الدماء، وقطعهم بحكمة الله تعالى في كل ما يفعل، لا ينافى تعجبهم من بعض أفعاله، لأن التعجب يصدر عن خفاء سبب الفعل[3].

ففي هذه الآية يقول الله تعالى لمحمد ﷺ أذكر لأمتك ولقومك أني قلت للملائكة حين تعلقت مشيئتي بخلق آدم أني سأجعله خليفة في الأرض لينفذ شرعي فيها، فقالت الملائكة مستفهمين (بموجب ما عندها من علم عمن سكن الأرض قبل آدم من الجان وأفسد فيها وسفك الدماء) أتستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها بإراقة الدماء وفعل المعاصي ونحن أحق بالاستخلاف منه لأننا أهل ذلك لعكوفنا على تسبيحك وتقديسك وتنزيهك عما لا يليق بجلالك[4].

من بين الفوائد التي تؤخذ من هذه المحاورة التي دارت بين الخالق U وبيم ملائكته الكرام: أنه –سبحانه– قد أفسح المجال أمام الملائكة لكي يعبروا عن رأيهم أنه –سبحانه– قد أرشدهم بأسلوب

---

[1]–حسني محمد العطار، الحوار في القرآن الكريم دراسة ونموذجاً، مطبعة نافذ للطباعة والنشر، فلسطين، ط 1، 2021، ص 2.

[2]–سورة البقرة، الآية 30.

[3]–محمد سيد طنطاوي، أدب الحوار في الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1997، ص 126.

[4]–عبده عبد الله الحميدي، الحوار في القرآن الكريم –دراسة في ضوء التفسير الموضوعي والتحليلي للقرآن الكريم، بدون دار نشر، ج 1، 2007، ص 374.

مهذب حكيم إلى ما يجب عليهم الوقوف عنده، وهكذا يتعلم العقلاء من هذه المحاورة أن الرئيس عليه أن يفسح المجال لمرؤوسيه المخلصين، لكي يناقشوه فيما عليهم من أمور[1].

كما يمتاز أيضا الخطاب القرآني بسمة القصص، وهو من أهم العوامل التواصلية في إنجاح الدعوة وإبلاغها للمخاطبين، قد استخدم القرآن الكريم الخطاب القصصي في كثير من المواضع فقد شغل حيزا كبيرا من النص القرآني، لتحقيق مبادئ الدعوة والتمكين لتعاليم الدين في النفوس، والقصة تأتي متفقة مع موضوع أو موضوعات السورة التي وردت فيه، ومن ثم تتفق السورة في المقصد الذي تقصد إليه، فالقصة تدعم موضوع السورة وتؤكده بل تأتي شاهدة عليه في أحيان كثيرة، وهي بذلك تمثل جزءاً من النسيج القوي للسورة القرآنية[2].

فالخطاب القصصي في القرآن الكريم يتموضع في تشخيص نموذجي حي لكل موضوعاته وإن كانت لا تفصل في ذلك ولا تفيض، لأنها ليس للتشريع بقدر ما هي للعبرة والحكمة والموعظة والتذكر وإزالة الغفلة، القصة القرآنية لها أهدافها التي تتلاءم مع مقاصد الكتاب، لأن القرآن الكريم كتاب دعوة لا كتاب تاريخ، لا تأتي القصة فيه جملة واحدة في مكان واحدٍ، وتمتزج بموضوعاته امتزاجا عضوياً لا يدع مجالا للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة، بل إن القصة تجيء أبدا في معرض الاستشهاد على الأمر الذي تعرض له السورة، في العقيدة أو في التشريع أو غير ذلك، بحيث نستخلص منها حوادث التاريخ مرتبة حسب وقوعها، فالقرآن الكريم كتاب دعوة والقصص فيه وسيلة من وسائل هذه الدعوة لتحقيق أهداف وغايات[3]، وذلك مصداقا لقوله تعالى:**[إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]**[4]، وقوله تعالى: **[وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ]**[5].

ومن نماذج الحوار القصصي: حوار شعيب u وقومه، لقوله تعالى: **[وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا**

---

[1]-محمد سيد طنطاوي، المرجع السابق، ص 127.

[2]-محمد عبد اللاه عبده دبور، أسس بناء القصة من القرآن الكريم –دراسة أدبية ونقدية–، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بالمنوفية، قسم النقد والأدب، جامعة الأزهر الشريف، 1996، ص 24.

[3]-كاظم الظواهري، الإضمار القصصي في القرآن الكريم، دار الهداية، القاهرة، ط 1، 1991، ص 27.

[4]-سورة آل عمران، الآية 62.

[5]-سورة هود، الآية 120.

تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ][1]، فهاهو ذا شعيب u يحاورهم قائلاً ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾[2] أي: اعبدوا الحق سبحانه وتعالى، والعبادة هنا بالمفهوم العام اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فهي تتضمن غاية الذل والخضوع لله، بغاية المحبة له، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء، وقد جرت سنة الأنبياء أن يبدؤوا بالدعوة إلى التوحيد، لأنه جذر شجرة الإيمان، ثم يتبعونه فالأهم بالأهم فيما يرون لدى أقوامهم، ومن ثنى بالنهي عن نقص الكيل والميزان، لأن أهل مدين اعتادوا ذلك[3]، فهذه الظاهرة كانت متفشية فيهم، فقال لهم، ﴿**وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ**﴾[4]، أي لا تركبوا ما أنتم عليه وتستمر فيه، فيمحق الله بركة ما في أيديكم، ويُفقركم ويذهب ما به يغنيكم، فنهاهم أولا عن تعاطي ما لا يليق من التطفيف، وحذرهم من سلب نعم الله عليهم في دنياهم، وعذابه الأليم في آخرهم، وعنفهم أشد تعنيف، ثم واصل حواره معهم قائلاً ﴿**وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[5] فهو ينهاهم أولا عن نقص المكيال والميزان إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط، آخذين ومعطين، ونهاهم عن العثو في الأرض بالفساد، وقد كانوا يقطعون الطريق [6]، ﴿**بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[7] ويقول فخر الدين الرازي في معنى هذه الآية: ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والميزان خير من البخس والتطفيف يعني المال الحلال الذي يبقى لكم خيرٌ من تلك الزيادة الحاصلة بطريق البخس والتطفيف، ﴿**وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ**﴾[8] فيها وجهان: الأول: إني نصحتكم وأرشدتكم إلى الخير (**وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ**) أي لا قدرة لي على منعكم عن هذا العلم القبيح.

---

[1]-سورة هود، الآية 84 – 85 -86.

[2]-سورة هود، الآية 84.

[3]-أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، ط 1، 1946، ج 12، ص 69.

[4]-سورة هود، الآية 84.

[5]-سورة هود، الآية 85.

[6]-عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، مؤسسة الكتب الثقافية، ط 5، 1996، ص 343.

[7]-سورة هود، الآية 86.

[8]-سورة هود، الآية 86.

الثاني: أنه لو لم تتركوا هذا العلم القبيح لزالت نعم الله عنكم وأنا لا أقدر على حفظها عليكم في تلك الحالة[1].

إن القصة تمثل جزءاً أصلياً من نسيج القرآن المحكم، تأتي في مكانها المقدر لها وتؤدي الغرض المراد منها على أكمل وجه، وبأوضح بيان، وهو نفسه الغرض المراد من القرآن الكريم، عقيدة وخُلقاً أو عبادة وتشريعاً، أو غير ذلك من الغايات التي تتصل بالعقيدة والتشريع، منها: إثبات صدق الوحي المنزل على الرسول ﷺ، وإثبات وحدانية الله I، وإثبات القرآن الكريم ليكون دليلا صادقا على صدق الرسول ﷺ[2].

المطلب الثاني: جماليات الخطاب القرآني:

القرآن الكريم هو الفضاء الروحي والفكري الذي صاغ الهوية الحضارية العربية الإسلامية، وهو النبع المتدفق الذي يُرفدنا بالمعنى والقيمة، هو الخطاب الإلهي المعجز الذي أشرقت منه شمس الكلمة الأولى فبددت أنوارها ظلمات الوجود، فالنص القرآني معجزة إبداعية جمالية كبرى لقوله تعالى: **[لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ]**[3].

فإذا كان الجمال موجوداً منذ أن ظهر الإنسان في هذا الوجود وتذوقه شيئاً فطرياً، فإن الإسلام أحدث ثورة عامة في المفاهيم والأفكار والنظرة إلى الأشياء، فكان منها النظرة إلى الجمال وإدراكه وتهذيب الذوق وصقل الطباع[4]، فيقول أحدهم: إن الإسلام الذي غير على المستوى الاجتماعي والسياسي والفكري إيقاع الحياة، غير على المستوى الفني إيقاعات التعبير والخطاب الأدبي ووضعنا أمما معجزة في الإبداع المتولد والمتجدد[5].

تعتبر الجمالية مذهباً أدبياً معيناً يستند إلى رؤية فلسفية، بقدر ما نريد أن نبحث عن الجمالية بوصفها مصطلحاً فنياً يدل على خصوصية طريقة الأداء في النص الأدبي، فالجمالية تعد منهجا تحليليا نقديا لدراسة البنية اللغوية والأسلوبية وما تؤسسه من دلائل ووظائف وأهداف، لأن النص الإبداعي أياً كان جنسه يؤكد خصائصه باتجاهين شكل ومضمون الجمال لكل خصائصها الدلالية، لأن الكلام جسدا وروحا، كذا لكل جسم جوهر وحقيقة، ونقول عنها أنها منهج نقدي حديث في حضن الدراسات اللسانية وأفادت من نتائجها ما أفادته المناهج، لذا أكد الناقد رومان جاكبسون مراراً على الجمالية وأولويتها، وثورة

---

[1]-محمد الرازي فخر الدين، المرجع السابق، ص ص 43 -44.

[2]- محمد عبد اللاه عبده دبور، المرجع السابق، ص 44.

[3]-سورة فصلت، الآية 42.

[4]-علي زيتونة مسعود، التقابل في القرآن الكريم بين الجمالية والدلالية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في" علوم اللسان العربي"، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة، 2016 / 2017، ص 29.

[5]-عبد الفتاح رواس قلعة جي، مدخل إلى علم الجمال الإسلامي، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1991، ص 120.

في ميدان النقد الحديث وهي أن هدف علم الأدبي ليس هو الأدب في عمومه وإنما أدبيته، أي تلك العناصر المحددة التي تجعل منه عملا أدبيا[1]، ويقول ابن منظور: والجمال مصدر الجميل، والفعل جمُل، لقوله تعالى: **[وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ]**[2]؛ أي بهاء وحسن، والجمال الحسن يكون في الفعل والخلق، والجمال يقع على الصور والمعاني، ومنه الحديث: «إن الله جميل يحب الجمال»[3]، أي حسن الأفعال وكامل الأوصاف[4].

الجمال يكون في كل شيء، في المحسوسات التي نراها ونلمسها وندركها بحواسنا، وهو أيضا في غير المحسوسات ويكون إدراكه حينئذ بالعقل، ومن هنا جاء القرآن معجزة غير محسوسة على غير ما جاء به الأنبياء السابقون، فجمالاته تدرك العقل[5].

ومن ذلك أن القرآن الكريم اهتم كثيراً بالجمال وبمختلف أنواعه ودعا إليه ورغب فيه وعبر به ووظفه في تشكيل اللغوي، وجعله من وسائله وأولوياته التي اعتمدها في التبليغ والإقناع، فقد تجلت فيه اللغة في أرقى درجاتها، والجمال في أعلى مقاماته، فلم يكن الوحي الإلهي إلا دعوة للعقل لإدراك ماهية الجمال في النص القرآني[6].

في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن الجمال وأنواعه وجمال خلقه وكونه عامة، وقد ورد لفظ الجمال ومشتقاته، وبمعناه في كثير من الآيات، من ذلك أنه خلق الإنسان وجعله في صورة حسنة لقوله تعالى: **[خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ]**[7]، ومنه أيضا زين السماء لقوله تعالى: **[وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ]**[8]، كما اشتمل القرآن الكريم أيضاً على ألفاظ كثيرة لها علاقة بهذه المعاني، أمثال حلية، بهجة، تسر الناظرين، الطيبات، حسنت مستقراً، أحسن الحديث، وقد أمر الله تعالى المسلم أن يتجمل بقوله: **[يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ]**[9]، فسأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ: "يا رسول

---

[1]-لطفي فكري محمد الجودي، المرجع السابق، ص 24.

[2]-سورة النحل، الآية 6.

[3]- مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسن، الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، الطبعة العامرية – تركيا-، بدون سنة نشر، ج 1، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه. ص 65.

[4]-ابن منظور، المرجع السابق، ص 126.

[5]-لطفي فكري محمد الجودي، المرجع السابق، ص 25.

[6]-حسين جمعة، التقابل الجمالي في النص القرآني، دار النمير، دمشق، ط 1، 2005، ص 13.

[7]-سورة التغابن، الآية 3.

[8]-سورة الملك، الآية 5.

[9]-سورة الأعراف، الآية 31.

الله إني أحب أن يكون ثوبي حسناً، وشكلي حسناً، هل ذلك من الكبر؟ قال رسول الله ﷺ: لا، إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغَمْطُ الناس»[1]، لقد كان التطور الذي أحدثه الإسلام في حياة الناس وأفكارهم جذرياً والمعجزة القرآنية الرائعة لم تضع البشرية أمام موضوع كبير، وتصور جديد، وطرائق موضوعية في التفكير، وإنما وضعتهم أمام وعي جمالي جديد يجد تجلياته في الفكر واللغة والسلوك والفن والعمارة، ورغم أن المفاهيم النقدية تعتبر الجمالية لا تقصد أغراضاً أخلاقية أو اجتماعية أو غيرها، إلا أن الله I جعل من الجمال وسيلة للإيمان به، والإقرار بربوبيته، فكان كونه غاية في الصنع والإبداع والجمال، ومثاراً للإعجاب، ومصدراً للتأمل، واتخذ من الجمالية القرآنية وسيلة للتذوق الجمالي، ووسيلة للتأثير والإقناع، وللعمل الحسن[2] لقوله تعالى **[إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا]**[3].

لقد اختص النص القرآني في شكله ومضمونه بخصائص جمالية معجزة من قوة البيان وسحره، والانسجام اللفظي والتماسك النصي والإيقاعية التي تحددها دقة التوزيع الموسيقي بين الحروف والكلمات والتراكيب، مما جعل النفوس تهتز لسماعه، وتُدهش لتركيبه وتُنتشى بقوة تأثيره، فذكر الأستاذ الرافعي أن جمالية الخطاب القرآني في إعجازه وقوة نظمه وانسجامه ظهرت أول شيء على لسان النبي ﷺ؛ فجعلت المسامع لا تنبو عن شيء من القرآن، ولا تلوي من دونه حجاب القلب، حتى لم يكن لمن يسمعه بدٌ من الاسترسال إليه والتوفر على الإصغاء، لا يستمهله أمر من دونه وإن كان أمر العادة، ولا يستنسئه الشيطان وإن كانت طاعته عندهم عبادة؛ فإنه إنما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطِّراد نسقه واتّزانه على أجزاء النفس مَقْطَعاً مَقْطَعاً ونبرةً نبرةً كأنها توقعه توقيعاً ولا تتلوه تلاوةً[4].

فالحضور الجمالي في الخطاب القرآني حقيقة لا مراء فيها، وأن هذه الجمالية لم يكن للعقل الإنساني استيعابها بسهولة، نظراً لما يتمتع به هذا الحضور من بعد مزدوج تشكل عبر توظيفه في خدمة (التواصلي – الإبلاغي) ليتمازجا معاً في بوتقة واحدة لم يكن في مقدور أي خطاب أدبي أو تواصلي أن يجازيه فيها[5].

أولا: البنية الإيقاعية: ففي الخطاب القرآني بنية نصية كبرى قد اعتمدت في عرض مفاهيمها الدينية وحقائقها التشريعية على امتدادات لغة حافلة بقيم جمالية تجمع بين جمال الإيقاع وروعة التصوير، ودقة

---

[1]- مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسن، المرجع السابق، ج 1، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه. ص 65.

[2]-علي زيتونة مسعود، المرجع السابق، ص ص 29 -30.

[3]-سورة الكهف، الآية 7.

[4]-مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية –بيروت- لبنان، 2003، ص 215.

[5]-عشتار داوود محمد، الإشارة الجمالية في المثل القرآني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص ، وأيضا، لطفي فكري محمد الجودي، المرجع السابق، ص 170.

التعبيـر، وقوة التأثيـر، فالبنية الإيقـاعية آلية من آليات التكوين الجمالي داخل النص، لأنه أداة للفعل في سياق تخاطبي محدد، لكن هذه الأداة تتحول هي نفسها إلى موضوع للتفكير والاشتغال والإبداع؛ وبهذا التحول يمتلك النص فعالية أكثر قوة ونجاعة، كما تعد من أهم الوسائط التي ينعقد لها دور الإقناع النصي الفعالي والمؤثر، فالطبيعة التركيبية للعربية قد تمرست على فنية تعـادل الأصوات وتوازنهـا، ممـا جعل لغة القرآن الكريـم في الذروة من طلاوة الكلمـة، والرقـة في تجانس الأصوات والألفاظ، وهذا دلالة قطعية على امتياز العربية في مجموع أصواتها وسعة مدرجها الصوتي ومقـابلتهـا بهذه السعة ما حفلت به أصوات الطبيـعة وعدالة هذا التوزيـع الصوتي المؤدى إلى الانسجام[1].

فالإيقاع الصوتي وسيلة من وسائل التي سخرها الخطاب القرآني بهدف التأثير والتمكين في المتلقي، فهذه الإيقاعية لا تأتي وفق وتيرة واحدة بل تأتي على ضرب تشكيلات متنوعة ولدتها طبيعة النص القرآني في جماليته الإعجازية لقوله تعالى:**[ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ]**[2]، إن المتأمل لهذا النظم القرآني يجده يحمل فيضاً من المعاني التي يجللها جزالة الأسلوب ورصانة العبارة وشدة التأثير في نفس السامع، هو نظمٌ تتواشج فيه الكلمات والحروف في أداء دورها في التأثير، إن مظاهر البنية الإيقاعية داخل النص القرآني تتجلى بشكل واضح، فلا تجد آية من آيـاته إلا ولهـا حلية منها، قد اكتنزت من الموسيـقى جمـالها، سواء في أصوات حركـاتها أو حروفهـا أو جملها، لقد تواءمت في سياقها، وتناسقت مع مثيلاتها، وتوازنت في مقامها، جاءت بناء جميلا قد شُيّد في أعظم نُظم وأتم تأليف[3].

والجمـالية في العمل الفني لا تتحد ولا تكتمل إلا بانسجـام الشكل مع المضمون وتكاملهما، ولعل أساس هذا الشكل الراقي وهذه الجمـالية هو الإيقاع، إذ أنه ليس عنصراً دالا على جمالية النص، بل أصبح النص الجميل ذاته، ولعل هذا الذي جعل بعضهم يعتبر الإيقاع ضلعاً من أضلاع البلاغة[4]

ثانيا: الاحتشـاد المشهدي: إن التحـدث عن الاحتشـاد الفني للصـورة الجمـالية التنبيـه على أنـه لا يمكن تصور الجمالي بمعزل عن الصدق والحقيقة، كما أنه ليس معنى أن تكون لصورة ما في النص القرآني قيمة جمـالية يعني أنها تُنزع مُنزعاً جمـالياً فقط، لكن هذا مرتبط تمـام الارتبـاط بقيـمة السـورة القرآنيـة في كونهـا تسمـو بالفهـم الجمـالي، والذي يستحيـل فيه جمـال الأخـلاق والتغـلب على النفس، والقدرة على

---

[1]-لطفي فكري محمد الجودي، المرجع السابق، ص ص 171 -172.

[2]-سورة ص، الآيات 1 - 6.

[3]-لطفي فكري محمد الجودي، المرجع السابق، ص 183.

[4]- علي زيتونة مسعود، المرجع السابق، ص 32.

تصريفها والترفع عن الضرورات؛ فالصورة المشهدية في الخطاب القرآني هي وضعيه فنية، تهدف إلى التمكيـن الجمالي، ولكي تثبت جماليتها وتكسب قيمتها يجب أن يتزاوج فيها العقل بالعاطفة[1].

فالصورة قبل كل شيء إدراك جماليٌ لحقيقة الشعور تسعى إلى الإيحاء، بعيداً عن التقرير والإثبات، فهي وسيلة تخدم المعنى ويوجه عمل الأديب لتظل خادمة للمعنى بغية توصيله إلى المتلقي عبر شكل يتمثل في المظهر الخارجي، فالقرآن الكريم قمّة اللغة، وقمّة الأساليب، والجمال لا يكون في اللفظ والشكل فحسب، بل يكون أيضاً في المعنى والمحتوى، فاللغة العربية تكون أكثر جمالاً حين تصبح لغة قضية وفكر، لغة إشعاع وتنوير، لغة مُثُل عليا وقيم رفيعة نبيلة، عندئذ يكتمل جمال المبنى والمعنى[2].

يقول **سيد قطب** في كتـابه التصويـر الفني في القرآن الكريـم: "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية؛ وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور؛ وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة؛ وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد؛ وإذا النموذج الإنساني شاخص حيٌ، وإذا الطبيعة البشرية مجسّمة مرئية"[3].

فالاحتشاد المشهدي الفني للصورة في الخطاب القرآني لم يكن له أن يأتي بمعزل عن معانيه فهو ليس عملاً فنيا مقصـوداً لذاته، بقدر ما هو وسيـلة لتبليـغ توجيهـات الدعوة الإسلامية والعمل على تثبيتهـا وتعميقها عن طريق الإقناع والإمتاع ولفت المخاطبين إلى جمال الكون وتناسق موجوداته، وهذا ما قاله السيد قطب: "والقرآن يوجه النفس إلى جمال السماء، وإلى جمال الكون كله، لأن إدراك جمال الوجود هو أقرب وأصدق وسيلة لإدراك جمال خالق الوجود، وهذا الإدراك هو الذي يرفع الإنسان إلى أعلى أفق يمكن أن يبلغه، لأنه حينئذ يصل إلى النقطة التي يتهيأ فيها للحياة الخالدة، في عالم طليق جميل، بريء من شوائب العالم الأرضي والحياة الأرضية[4].

المشهد التصويري في الخطاب القرآني تكاد لا تخطئه عينٌ، فقد برز بروزاً واضحاً في القرآن الكريم، نتيجة لما أنيط به من وائد تجلت معظمها في اجتذاب القارئ والسامع والمتأمل وجعله يعيش حياة وعي عقلي وعاطفي يدرك بها عظمة الله تعالى وقدرته الباهرة، سواء في محكم كلامه أو في آلائه ومخلـوقـاته المبثـوثة في كل مكـان، لعل أول أنسـاق هذا الارتسـام التصويـري للخـطـاب القـرآني هو ما جاء لصيقاً بالتخيير الحسي، فمعروف أن التصوير دائماً ما يتخذ التخييل ركيزة أساسية يقوم عليها، فقلمـا نجد وروداً للصـورة القرآنية دون حيـاة أو حركة تخييلية، فدائما ما تعرض من خلال التصويـر الأدبي الرائع، والتعبيـر

---

[1]-المرجع نفسه، ص 185.

[2]-عيد سعد يونس، التصوير الجمالي في القرآن الكريم، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2006، ص 69.

[3]-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 17، 2004، ص 36.

[4]-سيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق، ص 3634.

الفني الجميل، الذي تحتضنه أُطُر من مشاهد الكون ومشاعر النفس، التي تستميل الحس، وتستنهض الخيال[1]، ومن ذلك قوله تعالى: **[إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]**[2]، والمراد بهذه الآية عند الشيخ **الطاهر بن عاشور**، أن التمتع بالدنيا ما هو إلا قصير وصائر إلى الزوال، فشبهت هيئة التمتع بالدنيا لأصحابها بهيئة الزرع في نضارته ثم مصيره إلى الحصد، وصيغة القصر لتأكيد المقصود من التشبيه وهو سرعة الانقضاء. ولتنزيل السامعين منزلة من يحسب دوام بهجة الحياة الدنيا لأن حالهم في الانكباب على نعيم الدنيا كحال من يحسب دوامه وينكر أن يكون له انقضاء سريع ومفاجئ، والمعنى قصر حالة الحياة الدنيا على مشابهة حالة النبات الموصوف، فالقصر قصر قلب، بني على تنزيل المخاطبين منزلة من يعتقد عكس تلك الحالة[3].

ومن المشاهد المتمثلة بوضعية التصوير الأدبي والاحتشاد المشهدي في القرآن الكريم الخطاب القصصي، وما يعرضه من شخصيات وأحداث وسلوكات بشرية، الذي عبر عنه بسياق بقصد أداء الغرض الدعوة إلى دين الله والنظر في آياته، لقوله تعالى: **[قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ]**[4]، إن الخطاب القرآني في هذه الآية عرض مشهد تصويري حي، يهدف إلى إبراز نشأة الحياة في الأرض عامة، وفي الإنسان خاصة، ليرى هؤلاء الكفار أن الذي بدأ الخلق يستطيع أن يعيده، وأنه لا يعجزه ذلك، وبهذه الطريقة التصويرية، جادل القرآن الكريم في قضية البعث، ولمس –بالمشاهد الحية المصورة التي عرضها–بداهة الكفار وأيقظ حسهم بدون جدل ذهني، ولا منطق عقلي تجريدي جاف[5].

إن القرآن الكريم له منهجية واضحة في تناول الجمال وفي غرسه في نفس السامع والقارئ لما له من أهمية بالغة، حيث بدت ملامحها في دعوة القرآن الإنسان بالتأمل إلى الجمال والتمتع به، والتناول

---

[1]– لطفي فكري محمد الجودي، المرجع السابق، ص ص 188 – 189.

[2]–سورة يونس، الآية 24.

[3]–محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 11، دار التونسية، تونس، 1984، ص 141.

[4]–سورة عبس، الآيات 17 – 32.

[5]–صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفاروق، عمان –الأردن–، ط 1، 2016، ص 225 – 226.

الجميل في صورة المفردة المختارة، وفي التصوير البديع للمشهد المعروض وإبراز الأثر النفسي للجمال وانعكاسه على المتلقي، وهذا ما أشار إليه بعض علمائنا في التأثير البلاغي للقرآني الكريم.

إن الإسلام يؤكد بصفة عامة، والقرآن بصفة خاصة، في غرس قيم الجمال والنظر إليها اعتباره، أن التبسم في وجه أخيك صدقة، وأن المشقة تجلب التيسير، وأن مع العسر يسراً، واستنكار الدين لفعل من حَرَم نفسه من متع الحياة وزينتها، من الامتناع عن النساء، والصوم الدائم، والامتناع عن الطعام، والقيام المديد، والامتناع عن النوم، وما أحله الله، وظن ذلك من الارتقاء بالعبادة... وغير ذلك كثير مما لا يتسع المجال للإتيان عليه، وإنما هي نوافذ للإطلالة منها على مذهبية الإسلام في الجمال وتقديره والدعوة إليه وممارسة تذوقه والنفاذ من الصور الجمالية إلى مبدعها وخالقها[1].

يقول **الزركشي**: "تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام ولم ير.

يقول أحمد بدوي بدوي: نعني بها: تلك الكلمة التي تُختم بها الآية من القرآن[2].

إن الفاصلة في القرآن تأتي متمكنة في موقعها مستقرة في مكانها يتعلق معناها بمعنى الآية، بحيث لو طرحت لاختل المعنى وفسد النظم لأنها لم تكن مجردة حيلة لفظية بل جزء أصيل من البناء المحكم للعبارة.

ومن نماذج الفاصلة القرآنية قوله تعالى: **[وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ]**[3]، فكلمة مظلمون دلت على انسلاخ النهار من الليل، وقد تمهد الآية بمعنى يناسب الفاصلة، كما في قوله تعالى: **[قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ]**[4] فتبليغ الرسالة أثار في الذهن وظيفة مهمة وهي الإبلاغ؛ لذلك جاءت الفاصلة بالبلاغ المبين، وهذا يسمى تمكينا.

---

[1]-رمضان خميس زكي الغريب، منهج القرآن في غرس قيم الجمال في الإنسان، مجلة أبحاث ميسان، تصدر عن كلية التربية، جامعة ميسان، العراق، المجلد، 15، العدد 29، 2019، ص 392.

[2]- نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنارة، السعودية، ط 1، 1991، وأحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، منشورات كلية العلوم والآداب الإنسانية، الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 19، ص 369.

[3]-سورة يس، الآية 36.

[4]-سورة يس، الآية 16.

وقد تأتي الآية بمعنى تام، ثم تزيد الفاصلة هذا المعنى كقوله تعالى: **[فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ]**[1] ، وهذا يسمى إيغالاً، فالفاصلة أوغلت في التعبير عن التولي في تصوير الإعراض، وهذا غرض الخطاب في هذا المقام[2].

من أهم الخصائص التي تُميز القرآن عن كل كلام بليغ أنه يجمع بين الوفاء بحق المعنى في أقل الألفاظ في أجمل التعابير، وأنها ستمر على ذلك من أوله إلى آخره، وتأتي الفاصلة التي هي جزء من الآية، جامعة بين محاسن الصياغة وبلاغة المعنى بإحكام، ولا يجوز أن يقال أن القرآن يختار الكلمة أو الأسلوب أو العبارة لتناسب الفواصل وحده، ولا لبلاغة المعنى وحدها، بل الذي يليق بكماله أن يقال إنه يختار ما يختار من ذلك، لأنها الأبلغ في موضعه والأوفى في نسقه[3].

---

[1]-سورة الروم، الآية 51.

[2]-سمات الخطاب القرآني، المرجع السابق، ص 60.

[3]-برهان الدين أبي الحسن البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984، ج 1، ص 8.

الفصل الثاني: تحليل الخطاب القرآني في سورة الصافات (قصة الذبيح أنموذجاً)

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي لسورة الصافات

المطلب الأول: تسمية ومناسبة السورة وفضلها.

أولا: تسمية السورة: هذه السورة تسمى بالصافات، ووجه مناسبة التسمية هو أن الصف الدال إلى اتحاد القصد، كما في صفوف القتال والصلاة والملائكة لا قصد لهم إلا الله من غير عائق عن ذلك، فكانوا أحق الخلق بالاصطفاف، تارة للصلاة، وتارة للتسبيح والتقديس، وفيه الإشارة لجميع الخلق في وجوب اتحاد قصودهم بالتوحيد لله تعالى والإخلاص له والقيام على الصراط المستقيم الذي بينه I للعبادة، فهو وحده لما له من صفات الكمال المستحق للعبادة، فكما أن الملائكة توحدت قصودهم له بالتوحيد والعبادة، فكذلك وجب على جميع الخلق سواهم أن يحذو حذوهم، وأن يوحدوا قصودهم[1].

وتسمى أيضا بسورة الزينة[2] لقوله تعالى: **[إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ]**[3].

وتسمى أيضا بسورة الذبيح[4]، وذلك لما ورد فيها من ذكر قصة الذبيح إسماعيل u، قال تعالى: **[فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ]**[5].

يذكر **محمد علي الصابوني:** أنها سميت بسورة "الصافات" تذكيراً للعباد بالملأ الأعلى من الملائكة الأطهار، الذين لا ينفكون عن عبادة الله **[يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ]**[6].

ويذكر **ابن عاشور:** أن وجه تسميتها باسم "الصافات" وقوع هذا اللفظ فيها بالمعنى الذي أريد به أنه وصف الملائكة، وإن كان قد وقع في سورة "الملك" لكن بمعنى آخر إذ أريد هنالك صفة الطير، على أن الأشهر أن سورة "الملك" نزلت بعد سورة "الصافات، وهي مكية بالاتفاق وهي السادسة والخمسون في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الأنعام وقبل سورة لقمان، وعدت آياتها مائة واثنتين وثمانين عند أكثر أهل العدد، وعدّها البصريون مائة وإحدى ثمانين"[7].

---

[1]-سيد زكي خليل إبراهيم، تفسير سورة الصافات –دراسة تحليلية-، مطبعة رشوان، القاهرة، 2003، ص 7.

[2]-مبروك بن عيسى، التسوير في القرآن الكريم، دار الخلدونية، الجزائر، 2020، ص 205.

[3]-سورة الصافات، الآية 6.

[4]-مبروك بن عيسى، المرجع السابق، ص 205.

[5]-سورة الصافات، الآيات 102 – 105.

[6]-سورة الأنبياء، الآية 20.

[7]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المجلد 3، دار القرآن الكريم، بيروت، ط 4، 1981، ص 27.

ثانيا: مناسبة السورة: هذه السورة بعد يس كالأعراف بعد الأنعام، وكالشعراء بعد الفرقان، في تفصيل أحوال القرون المشار إلى هلاكهم[1]، فقد جاء في سورة يس ذكر دلائل التوحيد والتذكير بواجب الشكر على النعم بالتقوى والإحسان وترقب الجزاء، والإقلاع عن الشرك والاستهزاء بالرسول واستعجال وعيد العذاب، وحذروا من حلوله بغتة حين يفوت التدارك[2]. ويشهد أن الملك لله وحده، وقد اتبع هذا بالقسم على وحدانيته فقال تعالى: **[وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ]**[3]، وذلك تأكيد الإخبار عن وحدانية الله تعالى، فمقصودها الاستدلال على آخر يس من التنزه عن النقائص اللازم منه رد العباد للفصل بينهم بالعدل اللازم منه الوحدانية، وذلك هو المعنى الذي أشار إليه[4].

ومناسبة سورة الصافات لما قبلها تظهر في[5]:

1-إن فيها تفصيل أحوال القرون الغابرة التي أشير إليها إجمالاً في السورة السابقة في قوله تعالى: **[أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ]**[6].

2-إن فيها تفصيل أحوال المؤمنين وأحوال أعدائهم الكافرين يوم القيامة بما أشير إليه إجمالاً في السورة قبلها.

3-المشاكلة بين أولها وآخر سابقتها، ذلك أنه ذكر فيما قبلها قدرته تعالى على المعاد وإحياء الموتى، وعلل ذلك بأنه منشئهم وأنه إذا تعلقت إرادته بشيء كان، وذكر هنا ما هو كالدليل على ذلك، وهو وحدانيته تعالى، إذ لا يتم ما تعلقت به الإرادة إيجاداً وإعداماً إلا إذا كان المريد واحداً كما يشر إلى ذلك قوله تعالى: **[لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ]**[7].

ثالثاً: فضل سورة الصافات: وقد ورد في فضلها من حديث أبي سعيد الخدري t أن النبي ﷺ إذا فرغ من صلاته قال: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وروى عن علي t قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليقل في آخر مجلسه، أو حين

---

[1]- مبروك بن عيسى، المرجع السابق، ص 206.

[2]-محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 22، ص 343.

[3]-سورة الصافات، الآيات 1 -5.

[4]-برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، المرجع السابق، ج 16، ص 187.

[5]-أحمد مصطفى المراغي، المرجع السابق، ج 23، ص 41.

[6]-سورة يس، الآية 31.

[7]-سورة الأنبياء، الآية 22.

يقوم: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وروى صاحب الفردوس عن ابن عباس t أن النبي ﷺ قال: من قرأ يس والصافات يوم الجمعة، ثم سأل الله تعالى أعطاه سؤاله، وعن عبد الله بن عمر t قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات[1].

وأخرج البخاري في خلق أفعال العباد عن حذيفة قال: قال النبي ﷺ: "إن الله يصنع كل صانع وصنعته، وتلا بعضهم عند ذلك **[والله خلقكم وما تعملون]**

ويذكر **الطبري** أن عمر بن الخطاب t كان إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه، ثم قال: أقيموا صفوفكم واستووا فإنما يريد الله بكم هدى الملائكة، يقول: [وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون].

وقال رسول الله ﷺ: "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: "يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف".

المطلب الثاني: مقاصد سورة الصافات وأساليبها.

أولا: مقاصد سورة الصافات وأهدافها: لم تخرج أهداف سورة الصافات عن أهداف ومقاصد السور المكية من إثبات الوحدانية لله U، الترغيب في الإيمان والترهيب من الكفر وبيان عواقبه في الدنيا والآخرة، وذكر قصص الأنبياء السابقين، وصبر المؤمنين في الأمم السابقة، وذكر مواقف المشركين وأقوالهم واستنكارهم واستكبارهم، وإبطالها، وقد كانوا يعبدون الملائكة ويزعمون أنها بنات الله (والعياذ بالله) ويتخذون من الشياطين قرناء يطيعونهم ويزعمون أن بينهم وبين الله نسباً، وأنهم يصعدون إلى سماء فيطلعون على أسرارها ويُخبرونهم بها، فابتدأ السورة بإثبات وحدانية الله وأشار إلى أن الملائكة عبادٌ مسخرون للعبادة وحراسة السماء من الشياطين، وذكر أن الشياطين عبادٌ مدحورون لا يعرفون شيئاً من أخبار السماء، ثم أمر النبي ﷺ أن يستفتيهم فيما يكون من أمرهم وهم أضعف منهم خلقاً، لينذرهم بقدرته على بعثهم وحسابهم مع شياطينهم وآلهتهم[2]، يذكر فيروز أبادي أن معظم مقصود السور الإخبار عن صف الملائكة والمصلين للعبادة، ودلائل الوحدانية، ورجم الشياطين، وذل الظالمين، وعز المطيعين في الجنان، وقهر المجرمين في النيران، ومعجزة نوح، وحديث إبراهيم، وفداء إسماعيل في جزاء الانقياد، وبشارة إبراهيم بإسحاق، والمنة على موسى وهارون بإيتاء الكتاب، وحكاية الناس في حال الدعوة، وهلاك قوم لوط، وحبس يونس في بطن الحوت، وبيان فساد عقيدة المشركين في إثبات النسبة، ودرجات الملائكة في مقام العبادة، وما منح الله

---

[1]-سيد زكي خليل إبراهيم، المرجع السابق، ص 7.

[2]-زهراء خالد سعد الله العبيدي و نجلاء خليل إبراهيم، مقامات التنكير في سورة الصافات –دراسة تحليلية–، مجلة سر من رأى، جامعة سامراء، الجلد 9، العدد 35، السنة التاسعة، تشرين الثاني، 2013، ص 232.

الأنبياء من النصرة والتأييد، وتنزيل حضرة الجلال عن الضد والنديد في قوله تعالى: **[سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ]**[1].

واستعرضت السورة الكريمة قصص بعض الأنبياء، بدءا بنوح ثم إبراهيم، ثم إسماعيل، ثم قصة موسى وهارون، ثم إلياس ولوط عليهم السلام وذكرت بالتفصيل قصة الإيمان والابتلاء في حادثة الذبيح إسماعيل u، مما جرى من أمر الرؤية للخليل إبراهيم حين أُمر بذبح ولده ثم جاء الفداء، تعليماً للمؤمنين كيف يكون أمر الانقياد والاستسلام لأمر أحكم الحاكمين، وفتحت السورة ببيان نصرة الله لأنبيائه وأوليائه في الدنيا والآخرة، وأن العاقبة للمتقين[2].

سورة الصافات كغيرها من السور المكية التي تهدف إلى بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل سوره وأشكاله، ولكنها بصفة خاصة تعالج صورة معينة من صور الشرك التي كانت سائدة في البيئة العربية الأولى، وتقف أمام هذه السورة طويلا وتكشف عن زيفها وبطلانها بوسائل شتى[3].

والغرض من السورة كما ذكر الشيخ طاهر ابن عاشور هو إثبات وحدانية الله تعالى وسوق دلائل كثيرة على ذلك دلت على انفراده بصنع المخلوقات العظيمة التي لا قبل لغيره بصنعها، وهي من العوالم السماوية بأجزائها وسكانها ولا قبل لمن على الأرض أن يتطرق في ذلك، وإثبات أن البعث يعقبه الحشر والجزاء، ووصف حال المشركين يوم الجزاء ووقوعهم بعضهم في بعض، ووصف حُسن أحوال مؤمنين ونعيمهم، ومذكراتهم في ما كان يجري بينهم وبين بعض المشركين من أصحابهم في الجاهلية ومحاولتهم صرفهم عن الإسلام، ثم انتقل إلى تنظير محمد ﷺ قومه بدعوة الرسل من قبله، وكيف نصر الله رسله ورفع شأنهم وبارك عليهم، وأدمج في خلال ذلك شيء من مناقبهم وفضائلهم وقوتهم في دين الله، وما نجاهم الله من الكروب التي حفت بهم، وخاصة منقبة الذبيح والإشارة على أنه إسماعيل وُصف ما حل بالأمم الذين كذبوهم[4]، وفي هذا المقام يقول سيد قطب وتبرز في هذا القصص قصة إبراهيم خاصة مع ابنه إسماعيل. قصة الذبح والفداء، وتبرز فيها الطاعة والاستسلام لله في أروع صورها، وأعمقها، وأرفعها، وتبلغ الذروة التي لا يبلغها إلا الإيمان الخالص الذي يرفع النفوس إلى ذلك الأفق السامي الوضيء[5]، ثم الانحاء على المشركين فساد معتقداتهم في الله ونسبتهم إليه الشركاء، ثم وعد الله رسوله بالنصر كدأب المرسلين ودأب المؤمنين السابقين، وأن عذاب الله نازل بالمشركين، وتخلص العاقبة بالحسنى للمؤمنين[6].

---

[1]-سورة الصافات، الآية 180.

[2]-محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص 27.

[3]-سيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق، ص 2980.

[4]-محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 23، ص 81.

[5]-سيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق، ص 2981.

[6]-محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 23، ص 82.

ذكر الشيخ **التواتي بن التواتي** إن المتدبر لسورة الصافات منذ بدايتها إلى نهايتها فهي ذات موضوع واحد وهو موضوع العقيدة بكل أبعادها وذلك لأن العقيدة هي أساس البناء في كل عمل ومنه ينبثق العمل، وتُبنى الأمة ليكون وجودها بالله ومع الله ولله، وإن أي عمل تعبدي لم يُبنى عن عقيدة صحيحة، فهو بناء في الهواء لا يلبث أن تذروه الرياح، ولا يجازى عليه صاحبه، وذلك إن لم يكن فيه شركا فإن كان كذلك فهو ظلم[1].

ثانيا: الأساليب الواردة في سورة الصافات: ورد في السورة الأسلوب الخطابي المباشر، فهذا الأسلوب يعني توجيه أمري صادر من الله I بأضربه المتعارف إلى مأمور معين، ومنها قوله تعالى: **[احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ]**[2]، فتمخض الأمر بالأفعال التالية (احشروا ، اهدوهم، قفوهم)، فقد جاء هذا الخطاب موجهاً للكافرين فهو مخرج لمعنى التوبيخ، فقد نجم عن هذا الأمر من تفصيل الذي استدعته اللفظة ذاتها، فهذا الأمر راجع على الآيات المذكورة والذي أعطى لها قيمة دلالية عالية، فقد شرحت حال هؤلاء الكفار، وجاء الأمر في قوله تعالى: **[قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ]**[3]، فتحقق أسلوب الأمر من خلال الأفعال التالية (ابنوا ، هب ، انظر ، افعل) فخرجت هذه الأفعال إلى معان مجازية الفعل (ابنوا) خرج لمعنى التهديد والوعيد، والفعل (هب) خرج لمعنى الدعاء، أما الفعلين (انظر وافعل) خرج لمعنى التسليم، يُخبر الله I عن قصة إبراهيم u وولده إسماعيل u مستعرضاً فيها موقف الابن الصابر المصدق بوعد الله، وإظهار كل من الأب والابن الاستسلام والخضوع لله وحده، ومن كانت هذه صفته من الخضوع والتصديق والاستسلام يُجزيهم الله بالخلاص من الشدائد، والسلامة من المحن، وقد جزى الله إبراهيم لما أحسن طاعته بالعفو عن ذبحه لابنه، وهذا هو الاختبار والبلاء، اختبره I في طاعته بذبح ابنه، فأخلص في الطاعة وانقاد لها مع كامل التسليم والخضوع لله I[4].

القسم: استهلت السورة الكريمة بأسلوب القسم، وهو أسلوب تكرر في بعض سور القرآن وغايته التحقيق وتوكيد جواب القسم، وإن لم يكن هذا موجباً، ولكنه جاء تبعاً لعادة ما هو مستقر في خطاب العرب في توكيد الخبر بالقسم، لم يكن القرآن بهذا مخالفاً عما هو مألوف عندهم من تنويع أسلوب

---

[1]- التواتي بن التواتي، الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين، المجلد 16، دار الحكمة، الجزائر، ط 1، 2016، ص 105.

[2]-سورة الصافات، الآيات 21 -24.

[3]-سورة الصافات، الآيات 97 – 102.

[4]-شيماء عبد الحسين إبراهيم الحجامي، سورة الصافات –دراسة في النسق التركيبي–، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، تصدر عن كلية الآداب، جامعة واسط، العراق، العدد 24، 2017، ص 90.

الخطاب في اقتناع المخاطبين لاختلاف نسبة الاقتناع عندهم، فلما نزل القرآن بلسانهم واشتمل على جميع أساليب خطاباتهم، كانوا أعرف الناس بمقصود كل أسلوب ومن هذه الأساليب أسلوب توكيد الخبر بالقسم لفصل في حكم بهذا الخبر وأنه سورة في إقامة الحجة على أكمل وجه، وليس لعدم تصديق الخبر بأنه حق في نفس الأمر، لذا روى عن الحسن أنه قال: بلغني أن رسول الله ﷺ: «قاتل الله قوماً أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا»، قد كان العرب الأقحاح يدركون حقيقة هذا الأسلوب وأنه لا يلجأ إليه عند وجود علامة الإنكار للخبر عند المخاطب[1].

جاء في قوله تعالى: **[وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ]**[2]، فالآية الثانية جاءت تأكيداً للأولى، فلما كان الخطاب العام موجها للسورة موجها للكفار، فقد افتتحت السورة الكريمة بالتوكيد وذلك من خلال القسم الذي تحقق بواسطة حرف القسم (الواو)، ولإزالة الشك عن المخاطب، والفاء جاءت لتقاوت ما بين رتبتين، التعبير عن الملائكة بلفظ الإناث (الصافات ، الزاجرات، التاليات) لأن موصوفها الجماعة، والتأنيث لفظي أي الجماعات من الملائكة والمصلين والمجاهدين المكملين أنفسهم بالاصطفاف في الطاعة، فهو صفة لموصوف محذوف مؤنث اللفظ وعدل عن أن يقول (الصافين) القاصرين على الذكور، فالتاليات ذكرا دلت (الفاء) أيضا هنا في هذه الآية الكريمة على التعقيب والترتيب فالتاليات المراد بها تبعه متابعةً ليس بينهم ما ليس فيها وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء في الحكم، ومصدره تلو وتارة بالقراءة أو تدبر المعنى ومصدره التلاوة، والتلاوة تختص بإتباع كتب الله المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة بالأقسام لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب، والتوكيد بوساطة حرف التوكيد (إنّ)، ومما رسخ دلالة التوكيد الفصل الذي حدث بين الآيتين فجاء مبينا ومؤكداً لوحدانية الله I[3]، يقول ابن القيم أقسم بذلك على توحيد ربوبيته وإلهيته وقرر توحيد إلهيته بتوحيد بروبيته، فقال:**[إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ]**[4]، من أعظم الأدلة على أنه إله واحد، ولو كان معه إله آخر لكان الإله مشاركا له في ربوبيته، كما شاركه في إلهيته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وهذه قاعدة القرآن؛ يقرر توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية، فيقرر كونه معبوداً وحده بكونه خالقاً رازقاً وحده، وخص المشارق هاهنا بالذكر[5]:

1-إما لدلالتها على المغارب، إذ الأمران المتضايفان كل منهما يستلزم الآخر.

---

[1]-سيد زكي خليل إبراهيم، المرجع السابق، ص 11.

[2]-سورة الصافات، الآيات 1 – 4.

[3]- شيماء عبد الحسين إبراهيم الحجامي، المرجع السابق، ص 91.

[4]-سورة الصافات، الآيات 4 – 6.

[5]-أبو عبد الله محمد ابن القيم الجوزية، التبيان في أيمان القرآن، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية، ط 1، 1429 هـ، ص ص 647- 648.

2-وإما لكون المشارق مطالع الكواكب، ومظاهر الأنوار.

3-وإما توطئة لما ذُكِر بعدها من تزيين السماء بزينة الكواكب وجعلها حفظاً من كل شيطان مارد.

فقد اكتنزت السورة الكريمة بالتوكيد الذي جاء بشكل واسع فيها، كانت قائمة عليه ولعل سبب ذلك يعود إلى نوع الخطاب الذي تضمنته السورة، وهذا طبعاً يستدعي أسلوباً معينا مثل التوكيد الذي يأتي بالحجج والبراهين التي تدلي بالقصد المنشود.

التشبيه: يعد من المظاهر البلاغية التي لها دور كبير في الربط بين الأشياء لتقريبها إلى الفهم، فهو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر، قال أبو الهلال العسكري: التشبيه يزيد المعنى وضوحاً، ويكسبه تأكيداً ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ولم يستغن أحدٌ منهم عليه، والتشبيه في القرآن الكريم هو وسيلة تأشرية تسلط على المتلقي ضغطاً معيناً يؤدي إلى انفعال وأفعال فيحب الشيء المصور أو ينفر منه[1]، وتجسد التشبيه في قوله تعالى:**[وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ]**[2]، لا يقتصر فيها الخطاب الحسي، وإنما يرتبط بدلالة فكرية وشعورية ساقتها الآيات قبلها، حُذف الموصف والتقدير حور قاصرات الطرف، من مقامات الإسهاب والإطناب، لا من مظان الإيجاز والاختصار، أدت إلى معان متعددة وتوسع في المعنى، وقوله تعالى:**[إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ]**[3] جاء التشبيه ليكون جزءاً من المعنى، وله أكبر الأثر على ما تصور لهم المخيلة وطلع شجر الزقوم غير معروف، وعلى هذا الوجه من تشبيه المعقول بالمعقول والمقصود منه تقريب الحال المشبه فلا يمتنع كون المشبه به غير معروف، التفاوت والاختلاف بين المشبه والمشبه به والسياق والتركيب جاء لحاجة فنية أدى إلى قيمة بلاغية كبيرة[4].

الاستعارة: نجد الاستعارة في قوله تعالى: **[قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ]**[5]، تكمن الاستعارة لسوء الحال تشبيهها بالموت لما شاع من اعتبار أن الموت أعظم ما يصاب به المرء، وفي قوله تعالى: **[إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ]**[6]، وقوله تعالى: **[فَإِذَا نَزَلَ**

---

[1]-بوملاح فاطمة، جواهرة زينب، سورة الصافات دراسة بلاغية أسلوبية، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في اللغة العربية، جامعة البويرة، 2009 / 2010، ص 22.

[2]-سورة الصافات، الآيات 48 -49.

[3]-سورة الصافات، الآيات 64- 65.

[4]-خولة صالح صهيود، جماليات بلاغية في سورة الصافات، مجلة ديالي، جامعة القادسية، العراق، العدد 87، 2021، ص 534.

[5]-سورة الصافات، الآية 56.

[6]-سورة الصافات، الآية 84.

بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ][1]، شبه تصوير حال ما آل إليه مصير المشركين من العذاب بعدما أنذروا به وبنزول الجيش عدو في ساحتهم فلم يأخذوا هيبتهم حتى أطاح بهم[2].

الكناية: كثرت الكناية في النظم القرآني وتعددت وجوهها، ومما ورد في سورة الصافات في قوله تعالى: **[بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ]**[3]، فإنه تصوير وجدانيا مغنيا في تعجبه واستعظام الأمر من حال المشركين بصورة بلاغية في العدول عن التصريح حقق غرضاً جماليا في اعتماد الصورة على التقابل بين صورتين حاضرة وماضية في قوله تعالى: (عجبت ويسخرون)[4].

الفاصلة القرآنية: فقد احتوت السورة الكريمة على الفواصل التي شكلت ملمحاً بارزاً لموضوع الآية مع المعنى، ومنه تكون الأولى أقصر من الثانية في قوله تعالى: **[دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ]**[5]، فالفقرة الثانية جاءت أطول من الأولى حيث بلغ عدد كلماتها سبع كلمات في حين الأولى أربع كلمات، فزيادة الكم لا تقف على الجانب الموسيقي الإيقاعي بل صاحبة زيادة دلالة أحدثت بها الفاصلة الداخلية في عذاب واصب وشهاب ثاقب، تنغيماً ولا نُغيبها عن الإيقاع لما تُحدثه من تقصير للمسافات الصوتية خاصة أن الكلمة الأخيرة في الآية تتناسب مع الفواصل الداخلية فتحدث بذلك ثراء وتنويعا إيقاعياً واضحاً نلاحظه في قراءة عذاب واصب شهاب ثاقب، لقد كان لهذه الزيادة في الآية الثانية مغزى فالآيتان تتحدثان عما يصيب الشياطين من العذاب لاستراقها السمع، وأن تكون الفاصلة الثانية أقصر من الأولى في قوله تعالى: **[وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ]**[6]، نلاحظ من خلال هذا الكم الموسيقي اختزالا للآية الثانية بقليل عن الآية الأولى، حيث انخفض عدد الكلمات فيها إلى كلمتين في حين كانت الآية الأولى ثلاث كلمات، وجاء هذا بنقصان قليل عن الأولى لزيادة طلب الحال الذي يقتضي الإسراع الذي يناسبه الاختزال[7].

النكرة: تعتمد السورة على صيغ صرفية في قالب نكرة لتوضيح عظمة القدرة الإلهية في قوله تعالى: **[وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ]**[8]، وجملة (فديناه) يظهر أنها من الكلام الذي خاطب الله به إبراهيم u،

---

[1]-سورة الصافات، الآية 177.

[2]-بوملاح فاطمة، جواهرة زينب، المرجع السابق، ص 21.

[3]-سورة الصافات، الآية 12.

[4]-خولة صالح صهيود، المرجع السابق، ص 534.

[5]-سورة الصافات، الآيات 9 – 10.

[6]-سورة الصافات، الآيات 175 – 176.

[7]-بوملاح فاطمة، جواهرة زينب، المرجع السابق، ص 82.

[8]-سورة الصافات، الآية 107.

والمعنى: وقد فدينا ابنك بذبح عظيم ولولا هذا التقدير تكون حكاية نداء الله إبراهيم غير مشتملة على المقصود من النداء وهو إبطال الأمر بذبح الغلام، و(الفدى والفداء) إعطاء شيء بدلا عن حق للمعطى، ويطلق على الشيء المفدى به من إطلاق المصدر على المفعول، وأسند الفداء إلى الله لأنه الآذن به، فهو مجاز عقلي، فإن الله أوحى إلى إبراهيم أن يذبح الكبش فداء عن ذبح ابنه وإبراهيم هو الفادي بإذن الله وابن إبراهيم مفدى، ووصفه بـ (عظيم) بمعنى شرف قدر هذا الذبح، وهو أن الله فدى به ابن رسول وأبقى به من سيكون رسولاً فعظمه بعظم أثره، ولأنه سخره الله لإبراهيم في ذلك الوقت وذلك المكان[1]. فالنكرة أتت بمعنى التعظيم والتفخيم لتوضيح دلالات المراد إيضاحها، فأسلوب التنكير وارد في النظم القرآني لدلالة على معاني التوحيد والألوهية والترغيب والترهيب، وإبراز أحكام عقائدية والنبوة، فظهرت بأساليب شتى في عدة مقامات.

المبحث الثاني: الخطاب القرآني لقصة الذبيح في تفسير التواتي بن التواتي

المطلب الأول:التعريف بالشيخ التواتي بن التواتي وتفسيره "الدّر الثّمين"

أولا: السيرة الذاتية للشيخ التواتي بن التواتي:

[1]-محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 23، ص ص 155 -156.

فضيلة الشيخ الدكتور **التواتي بن التواتي**[1] من مواليد سنة 1943/09/01م بمدينة الأغواط الأصليين (الجزائر)، أخذ القرآن الكريم بالزاوية الرحمانية بالأغواط عن الشيخ كويسي المبروك طيب الله ثراه، وتعلم بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم التحق بالجيش التحرير، وبعد الاستقلال أعاد حفظ القرآن عن الشيخ غالم محمود طيب الله ثراه، وأخذ الفقه وأصوله عن الشيخ أبي بكر الحاج عيسى ودرس عليه كتاب الموافقات للشاطبي، وبدائع الفوائد ومدارج السالكين لابن القيم، وكتاب المحصول في علم الأصول للرازي وذلك بعد التخرج من الجامعة.

عمل في حقل التربية والتعليم أكثر من 46 سنة في مختلف الأطوار التعليمية، ودرّس بجامعة عمار ثليجي بالأغواط، اشرف على العديد من البحوث العلمية، عضو هيئة التحرير لمجلة مجمع اللغة العربية الجزائري، متحصل على شهادة الليسانس في الحقوق وشهادة ماجستير في النحو العربي أصوله، وله دكتوراه دولة في القراءات (القراءات وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي)، نجح الدكتور في الفقه المقارن وفي الدراسات القرآنية وفي ختم تفسيره للقرآن الكريم، وهو إمام وخطيب، وحارب بفكره وقلمه الفرقة وأسبابها وسعى إلى زرع ثقافة التواصل وتوحيد الكلمة والأخوة بين الجزائريين عموماً، وبشكل خاص بين أبناء المذهبين المالكي والإباضي.

الشيخ التواتي أطال الله في عمره وحفظه، له إرث من المؤلفات منها: "الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين في 20 جزءاً" وهو تفسيره للقرآن الكريم، "المبسط في الفقه المالكي بالأدلة، "الفقه المقارن" –دراسة تقابلية بين المذهب المالكي والإباضي–، "أصول المذهبين (المالكي والإباضي) –دراسة تقابلية بين الموطأ مالك ومسند الربيع–، "شرح التحفة البهية في أصول الفقه 3 مجلدات)، "القراءات القرآنية وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي"، الأخفش الأوسط وأراؤه النحوية"، "مفاهيم في علوم اللسان"، "المدارس اللسانية"، "القراءات وأثرها في الدرس النحوي والفقه الإسلامي"، "الموجز في قواعد العربية جزءان مخطوط".

وله عدة مقالات نشرت في مجلة اللسانيات (الصادرة عن مركز ترقية اللغة العربية)، ومجلة المخبر التابعة لمعهد أصول الدين بالجزائر، ومجلة قسم اللغة والأدب العربي جامعة الأغواط.

ثانيا: التعريف بالدر الثمين في تفسير الكتاب المبين:

[1]– التواتي بن التواتي، المرجع السابق، المجلد 01، ص 5 – 6.

يقع هذا الكتاب في عشرين مجلداً أي ما يعادل حوالي 600 صفحة لكل واحد منها، صدر هذا التفسير في أول طبعة سنة 2016م، وقد صنفته وزارة الشؤون الدينية والأوقاف أول تفسير جزائري للقرآن الكريم في العصر الحديث.

اعتمد فيه الشيخ على مفسرين أبرزهم الإمامان الطبري وابن كثير، وذكر أنه لم يفارق في كل مراحل تفسيره تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وتفسير ابن عرفة، كون أعلامها من المالكية وفق مذهب الشيخ، ولكون الشيخ كان يدرس الفقه والتفسير بالتوازي، ومع اعتماد الشيخ على أعلام مذهبه إلا أنه لم يغفل تفاسير المدارس الأخرى كتفسير (مجمع البيان) للطبرسي الشيعي، وتفسير (هميان الزاد إلى دار المعاد) (تيسير التفسير) للشيخ طفيش الإباضي، وتفسير في (رحاب القرآن)، كما استفاد من آثار الشيخ عبد الحميد ابن باديس، وقد ذكر الشيخ التواتي أنه استفاد من 250 كتاباً من التي تناولت القرآن وعلومه منها 120 تفسيرا مختلفاً، وكذا الكتب التي تناولت إعراب القرآن الكريم كالدر المصون، وإعراب القرآن للزجاجي وغيرها، ثم شرع الشيخ في تفسير القرآن سورة فسورة، ابتداء من الفاتحة وانتهاء بسورة الناس حيث جمع في كل سورة ما تحتويه من الفوائد اللغوية والبيانية، وتناولها من جهة القراءات، وذكر أقوال العلماء في جملتها وتفاريقها، وبين الأحكام الفقهية، واستخلص المواعظ والعبر من كل آية وسورة[1].

ثالثا: منهجية الشيخ في تفسيره:

استخدم الشيخ الأسلوب التحليلي في تفسيره، حيث يرى أن الفائدة والنفع فيه مع صعوبته، لأنه يلزم صاحبها التعمق ف ي علوم كثيرة، وأن تتوافر فيه الفطرة السليمة، إذ سلك الشيخ طريق الاختصار كما ذكر في مقدمته، مع استطراده في بعض النقاط التي تستلزم الإطالة فيها؛ حيث بدأ الشيخ تفسيره بمقدمة تطرق فيها إلى تعريف التفسير وشرفه، والحاجة إليه، وما يجب أن يتوافر لدى المفسر من علوم وملكات، واعتمد في تفسيره على المفسرين والعلماء مرجحاً آراءهم وأقوالهم مبينا أهم مدارس التفسير، ومنهجيته (التحليل اللغوي، المعنى الإجمالي، أوجه القراءات، التفريع الفقهي)، حين يبدأ الشيخ تفسير السورة فإنه يبين المكي منها والمدني، ثم يبين المقاصد العامة لها، وأهم القضايا والموضوعات التي تناولتها وعدد آياتها، ويبين أغراضها ثم يتحدث عن فضلها، وقد يعرج على الأسماء التي وردت للسورة، وتناسب ما قبلها، وأسباب نزولها، كما تناول الآيات واحدة تلو الأخرى بدراسة مستفيضة من وجوه البلاغة والنحو والإعراب، وكذا أوجه القراءات –إن وجدت–، وركز في إبراز المعنى الإجمالي للآية وبين المواعظ التي فيها والعبر المستخلصة منها، وقد يستخرج منها أحكاما شرعية، واستدل بالأحاديث النبوية الصحيحة، وأقوال

[1]–محفوظ حاج إبراهيم، اتجاهات التفسير في الجزائر في العصر الحديث (التواتي وكعباش أنموذجاً)، أطروحة دكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الأردن، 2018، ص 9.

للصحابة والتابعين، والشعر العربي وأقوال العلماء المتقدمين منهم والمتأخرين، ويرجح بين أقوالهم، وفي نهاية كل جزء من الدر الثمين فهرسة للموضوعات التي تناولها الشيخ خلال تفسيره للسورة، ثم يسمي كل موضوع بما يحويه من معاني وفوائد، ويكون التقسيم حسب الموضوع طولاً وقصراً[1]، ثم شرع الشيخ في تفسير سور القرآن الكريم سورة ابتداء من الفاتحة وانتهاء بسورة الناس، حيث جمع في كل سورة ما تحويه من الفوائد اللغوية والبيانية، وتناولها من جهة القراءات وذكر أقوال العلماء في جملتها وتفاريقها، بين الأحكام الفقهية واستخلص المواعظ من كل آية في السورة.

رابعا: خصائص الدّر الثّمين :

يتميز الدّر الثّمين بلغة سهلة وأسلوب عباراته واضحة لا تكلف في الصنعة من سجع أو طباق أو مقابلة فهو أقرب إلى استخدام لغة البحث العلمي التي تخلو من الأدبيات تضمن وصول المعنى للقارئ،كما امتاز في تفسيره بطرقة عرضه للأفكار يتناولها جملة ثم يأخذها بالتفصيل بصورة ملفتة للقارئ مما يسهل تركيزه واستيعابه للجزئيات في ضوء الكليات، فقد صرح الشيخ في مقدمة تفسيره سينهج منهج التوفيق بين الأثر والنظر حيث يستنجد بالآثار المختلفة ليكتمل فهمه للآية والمسألة موردا الأدلة والحجج لتدعيم كلامه، بالإضافة إلى ما ميّز الدّر الثمين خلوه من المصطلحات الكلامية عموما، ومن المعتركات الكلامية خصوصا، يكتفي الشيخ بذكر ما يعتقده وفق أصول مذهبه العقدي دون الخوض في التفصيلات الكلامية، بل يتجاوزها إلى غيرها من القضايا ولا يقف عندها، إلا في حالة وجود أسئلة، كما يدرج الشيخ في آخر التفسير مواعظ وحكم توافق والحياة البشرية مستوحاة من واقع المسلمين، تهدف إلى تغيير واقعهم إلى طريق الإصلاح والإرشاد.

المطلب الثاني: تحليل الخطاب القرآني لقصة الذبيح في تفسير الدّر الثّمين

[1]- محفوظ حاج إبراهيم، المرجع السابق، ص 10.

قال الله تعالى:[وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ**]**[1].

أولا: التحليل اللغوي:

-أسلما: يقال: سلم لأمر الله، وأسلم، واستسلم بمعنى واحد، وقد قرئ بهن جميعاً إذا تنقاد له، وخضع، وأصلها من قولك: سلم هذا لفلان إذا خلص له. ومعناه: سلم من أن ينازع فيه، وقولهم: سلم لأمر الله، وأسلم له منقولان منه، وحقيقة معناهما: أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة، وكذلك معنى: استسلم: استخلص نفسه لله[2].

-تلّه للجبين: أي: صرعه على شقه فوقع أحد جبينيه على الأرض وللوجه جبينان، والجبهة بينهما، قال ابن الأعرابي التليل والمتلول المصروع والمتل الذي يتل به أي يصرع، فالمعنى أنه صرعه على جبينه، ومنه حديث ابي الدرداء t: "وتركوك لمتلك" أي لمصرعك. وفي حديث آخر: "فجاء بناقة كوماء فتلها" أي: أناخها.

ومنه الحديث: «بينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فتلت في يدي».

قال ابن الأنباري: أي: فألقيت في يدي، يقال: تللت الرجل إذا ألقيته.

قال ابن الأعرابي: فصبت في يدي، والتل الصب، يقال: تل يتل إذا صب، وتل يتل بالكسر إذا سقط.

في صحيح مسلم: « عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء». فقال الغلام: لا والله، لا أوثر بنصيبي منك أحداً، قال: فتله رسول الله ﷺ في يده، يريد جعله في يده»[3].

إن الشيخ يعتمد في تحليله على الجانب اللغوي ويورد اقتباساته من كتب التفسير في أحيان كثيرة، وكانت مراجعه في أغلب تفسيره، وأحيانا أخرى يورد بعضا منها من مصادرها الأصلية ويهتم

---

[1]-سورة الصافات، الآيات 99 – 113.

[2]- التواتي بن التواتي، المرجع السابق، المجلد 16، ص ص 149 -150.

[3]- مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسن، الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، المرجع السابق، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ. ج 6 ص113.

بالفكرة والمعنى أكثر من اهتمامه بالشكليات التي لا ربما يتقيد بها بعض الباحثين، من العودة إلى أصول الكلمات وجذورها، واستخداماتها في اللسان العربي بل يعنيه المعنى وغابته الدلالية والمفهوم، فقد يرجع إلى المراجع وهذا كثير جداً، كما قد يرجع إلى المصادر وأمات الكتب ويرفقها بالتفاسير، ونجد في كتابه أنه عُني بالتحليل اللغوي[1].

لقد اختصر الشيخ في التحليل اللغوي لهذه الآيات على مصطلحين (أسلما – تلَّه للجبين) مقتصراً على المعاني المقصودة والتي لأجلها وُضعت ذلك لموضع في كتاب الله U، ولذلك ليُجلي الموضوع وليساعد على فهم الأحكام المتعلقة به، فأغلب تحليلاته اللغوية مستمدة من كُتب المفسرين، إذ أنه يورد المعاني إلا ما يكفي لإظهار المعنى دون الخوض في جذور الكلمات، وقد انتهج منهج المفسرين القدامى، وأثرى كلامه بأحاديث رسول الله ﷺ، وأشار الشيخ إلى المقتبس في الهامش إلى المراجع المعتمد عليها.

ثانيا: أوجه القراءات: اختلف القراء في قراءة موضعين من هذه الآيات: (ماذا **ترى**)، و**أسلما**).

الموضع الأول: (ماذا **ترى**):

-قرأ حمزة والكسائي ماذا **ترى** بضم التاء. يعني: ماذا ترى من صبرك. ويقال: معناه ماذا تشير.

-وقرأ الباقون: بالنصب، وهو من الرأي. يعني: ماذا ترى من صبرك. ويقال: معناه ماذا تشير فيما أمر الله به. ويقال: هو من المشورة والرأي.

قال أبو عبيد: بالنصب تقرأ؛ لأن هذا في موضع المشورة والرأي، والآخر يستعمل في رؤية العين قال: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن الله من الصابرين على الذبح.

الموضع الثاني: (**أسلما**):

-قرأ جمهور الناس (**أسلما**) أي: أنفسهما واستسلما لله تعالى.

-وقرأ علي وعبد الله وبن عباس ومجاهد والثوري «سلما» والمعنى فوضا إليه في قضائه وقدره وانحملا على أمره، فأسلم إبراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه[2].

اهتم الشيخ بالقراءات القرآنية فقال: فالمصدر الوحيد للقراءات القرآنية إنما هو إنزال القرآن على النبي ﷺ الذي بلّغه بكل دقة إلى أصحابه، وكان يُقرؤهم القرآن كما نزل، وكان يتعهد أصحابه بتعلم القرآن وحفظه لهم على ظهر قلب حتى أصبحت صدورهم سجلا لما نزل من الحق[3].

---

[1]- محفوظ حاج إبراهيم، المرجع السابق، ص 133.

[2]-التواتي بن التواتي، المرجع السابق، المجلد 16، ص 150.

[3]-التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وأثرها في النحو والفقه الإسلامي، دار الوعي، 2008، ص 148.

إن الشيـــخ اهتم بجـــانب القـراءات لمـــا تتضمنـه من التنظيـر والتأصيـــل بذكر اختـلاف القـراء، فاستشهد ببعض أوجه القراءات منها قراءة حمزة والكسائي في ضرب (ماذا **ترى**) وأضاف إليها قراءة أبو عبيد، واستشهد أيضا بقراءة جمهور الناس لكلمة (**أسلما**) فأردفها بمجموع القراءات التي وردت لدى بعض العلماء المهتمين بالقراءات، من بينهم علي وعبد الله وبن عباس ومجاهد والثوري، وقد سار على نهج العلماء المفسرين القدامى (تفسير ابن كثير، تفسير القرطبي، تفسير الرازي، تفسير ابن عطية). لم يكن الشيخ متعمقا في قضايا علوم القران ولا محققا لها، بل كان ناقلا عمن سبق مستفيدا منهم، لم يخالف السابقين فيما ذهبوا إليه، لم يقدم لمسائل نظرية إلا ما كان منه في القراءات، إذ لم يتجاوز قضـايـا علـوم القران بل كـانت من صلب اهتمامه،كان يستفيـد منهـا في تجلية معاني كتاب الله.

ثالثا: المعنى الإجمالي: لقد فرع الشيخ الآيات السابق ذكرها إلى ثلاثة تفريعات بدءً:

أولا: قـال الله تعـالى:**[وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ]**[1]، فبين الشيـخ معنى الآية وذلك بقولـه: لما يئس إبراهيم u من إيمان قومه، وكان لبث فيهم وقتاً يدعوهم إلى التوحيد وإلى نبذ عبادة الأصنام، وترك وقال: إني مهاجر إلى المكان الذي أمرني ربي بالمسير إليه، حيث أتمكن من عبادة ربي فإنه (سَيَهْدِينِ) فيما نويت إلى الصواب[2].

وضح الشيخ دلالة هذه الآية الكريمة والتي تتضمن الهجرة والعزلة لسيدنا إبراهيم u إلى مكان ليعبد الله فيه، والله مرشده إلى ما فيه صلاح دينه.

وهناك دلالة أخر في هذه الآية أيضا إيماء إلى أن الإنسان إذا لم يتمكن من إقامة دينه على الوجه المرضي في أرض وجبت عليه الهجرة منها إلى أرض أخرى[3].

ثانياً: قال الله تعالى:**[رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ]**[4]، لقد بين الشيخ أن هذه الآيات تشتمل على دعاء خليل الرحمن u الذي اشتمل على ثلاثة أشياء: منها أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ الحلم، وأنه يكون حليماً، وأي حلم يكون أعظم من ولد حين عرض عليه أبوه الذبح، قال: **[سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ]**[5]، ثم استسلم لذلك[6].

أشـار الشيخ إلى المعنى الإجمالي لهذه الآيات بقوله: لما هاجر سيدنا إبراهيم u من بلاد قومه، سأل ربه أن يهب له ولدا صالحاً فبشره الله بغلام حليم —من الصالحين–، لذا قيل: ما نعت الله نبيا بالحلم

---

[1]–سورة الصافات، الآية 99.

[2]–التواتي بن التواتي، الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين، المرجع السابق، المجلد 16، ص 150.

[3]–أحمد مصطفى المراغي، المرجع السابق، ج 23، ص 71.

[4]–سورة الصافات، الآيات 100 -101.

[5]–سورة الصافات، الآية 102.

[6]–التواتي بن التواتي، الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين، المرجع السابق، المجلد 16، ص 151.

لعزة وجود إبراهيم وابنه عليهم السلام، يجوز أن تكون الصفة لنبي وأن يكون حالا من الضمير في النبي، فورودها كان على سبيل الثناء والتفريظ، لأن كل نبي لا بد أن يكون من الصالحين ومن ذريتهما (خبر مقدم) تضاف إلى النعم وهي أن أكثر الأنبياء كانوا من ذريتهما، ومن هذه الذرية التي وهبها الله لنبيه u هو إسماعيل u لأنه أول ولد له على رأس ستة وثمانين سنة من عمر الخليل، وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل، لأنه أول ولد وبكره، فلما شب وصار يسعى في مصالحه وللحوائج والمهمات المتعلقة لأمور المعاش، صار يذهب ويجيء معه ابنه للاحتطاب وسائر الأشغال، وكان أبوه ينتصر به في الأمور ويستظهر به، فوهبناه له، ونشأ فلما بلغ رتبة أن يسعى معه في أشغال حوائجه لأن الأب أكمل في الرفق والاستصلاح له، وراح إسماعيل يعين أباه في بناء ما أمره الله به وهو بناء الكعبة، ولما أتم البناء رأى إبراهيم u في المنام أنه يؤمر بذبح ولده هذا، فكان للغلام يومئذ ثلاثة عشرة سنة والولد أحب ما يكون عند أبيه في سن يُقدر فيه على إعانة الأب وقضاء حاجة ولا يُقدر فيه على العصيان، وإيثار التعبير بالمضارع في قوله (**أرى**) و(**أذبحك**) لاستحضار الصورة الماضية وقت الخطاب وتكررت الرؤية في الفعل الأول تأكيداً على أنه وحيٌ، وهذا ما أكده الشيخ في الحديث مرفوعا عن ابن عباس، الذي رواه الإمام البخاري: « قال عمرو: سمعت عبيد بن عمير يقول: رؤيا الأنبياء وحي، ثم قرأ **[إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ]**[1]»[2]، وهذا اختبار من الله تعالى لخليله في أن يذبح هذا الولد العزيز الذي جاءه على كبر وقد طعن في السن، ويضرب مثالاً عظيما في الصبر والمثابرة رغم أن زوجته سارة كانت عاقر لكنه لم يقنط من رحمة الله تحت تأثير حب الولد الذي يخلفه، إذ هي فطرة الله في الناس والابن مطلب دائم لأبيه.

وفي قوله تعالى:**[يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ]**[3]، ويظهر الاتفاق بين خطاب الأب (**يا بني**) على سبيل الترحم، وخطاب (**يا أبت**) على سبيل التوقير والتعظيم، وكذلك إيثار التعبير قوله: من الصابرين دون صابرا[4]، رجاء منه مع قيامه بالالتزام بالأمر أن يكون في سلك الصابرين المحتسبين، وذلك فيه من التواضع وحسن الخضوع لأمر الله ما فيه، قيل: ولعله وفق للصبر ببركته، مع بركة الاستثناء إن شاء الله[5]. فالآية تأكيد على قبول الفعل جواب عن سؤال توقعه المرسل من المتلقي، أفادت تقرير مضمون الأولى، وإزالة ما يمكن أن يقع من تساؤلات في ذهن المتلقي، والتطابق في المعنى بين الجملتين وإن الاتصال مباشر بين الجملتين معنويا بالتوكيد وبذكر الدليل (**إني أرى**) يكون الخطاب منسجما للمتلقي.

---

[1]-سورة الصافات، الآية 102.

[2]-ابن حجر العسقلاني، المرجع السابق، كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء، ج1، ص 288.

[3]-سورة الصافات، الآية 102.

[4]-قال الله تعالى: **[**قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**]**سورة الكهف، الآية 69.

[5]-سيد زكي خليل إبراهيم، المرجع السابق، ص 184.

لما أُمر بعد هذا كله بذبح ولده هذا الذي قد أفرده عن أمر ربه وهو بكره ووحيده الذي ليس له غيره، أجاب ربه وامتثل لأمره وسارع إلى طاعته، ثم عرض ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسراً ويذبحه قهراً[1]: ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ** ﴾.

أمر الله إبراهيم u بذبح ابنه تكليفاً وهو عين البلاء والاختبار، وإن لم يكن قد وقع لكن لمّا استسلم كل منهما لأمر الله وتكليفه، فلقد حطم كل نداءات الأرض لما جاء الأمر من السماء وضرب للناس أروع الأمثال في الطاعة، لقد كان الوحي في هذه المرة رؤيا فلم يتأولها إبراهيم u لصالحه بدافع من غريزة الأبوة، ولكنه امتثل وعرض على ابنه ما رأى، لقوله: **(فديناه)** لم يقل **(وفداه أو فديته)**، هذا السر في طرح إنّا فسياق الكلام يتعلق بإبراهيم وإسماعيل ***عليهما السلام*** وذلك لقيامهما بأمر الله تعالى، فناسب وجود إنّا للجمع بينه وبين ابنه، فبادر الغلام الحليم سر والده الخليل إبراهيم uفقال: **[قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ]**[2]، ففي صيغة **(ما)** في قوله **(ما تؤمر)** يجوز أن تكون بالمعنى الذي، والعائد مقدر، أي: تؤمره، والأصل تؤمر به، ولكن حذف الجار مطرد فلم يحذف العائد إلا وهو منصوب المحل، فليس حذفه هنا كحذفه في قولك: جاء الذي مررت، ويمكن أن تكون مصدرية، أي: أمرك، على إضافة المصدر للمفعول، وكونها موصولة أسّد لمعنى السياق[3].

فالشيخ ذكر أن سياق هذه الآية: **[قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ]** هو جواب في غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العبادة، فقد قال الولد لوالده لا تأخذ رأيي ولا مشورتي بل نفذ ما أُمرت به، ثم لا ينسى أن يستمد العون من الله على حالة الصبر فهو لا يعتمد على قوته وشدة جلده بل يسأله من ربه، لقد حسم الموقف بجملتين قالهما لأبيه خلدهما التاريخ له، وكانتا سبباً في تدوين اسمه من الصابرين[4] في قوله تعالى: **[وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ]**[5].

ثالثا: قال الله تعالى: **[فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ]**[6]. حدثنا الشيخ في هذه الآيات عن موقف يحمل إلينا صراع نفسيا بالغ التعقيد بناء على رؤية إبراهيم u، والصراع

---

[1]–التواتي بن التواتي، الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين، المرجع السابق، المجلد 16، ص 151.

[2]–سورة الصافات، الآية 102.

[3]– سيد زكي خليل إبراهيم، المرجع السابق، ص 180.

[4]–التواتي بن التواتي، الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين، المرجع السابق، المجلد 16، ص 152.

[5]–سورة الأنبياء، الآية 85.

[6]–سورة الصافات، الآيات 103 – 108.

الذي يتأجج في نفسه، فالنفس الإنسانية تنفعل عند هذا الموقف الرهيب النادر، تنفعل بعاطفة الرحمة والشفقة والإثنين معاً، هذا موقف يحتاج إلى قوة هائلة لمغالبة النفس وما يصطع فيها من غريزة الأبوة وعاطفة الرحمة بالولد، بالرغم من ذلك استسلم وانقاد لأمر الله فلم يبقى هناك منازعة لا من الوالد ولا من الولد بل استسلام صرف وتسليم محض.

فقد تميز أسلوب الخطاب القرآني بصورة الحذف، أي حذف في سياق الشرط بحيث يستخدم الحذف بشكل لافت في الجمل المتلازمة الشرطية ويطرد من أشكال الحذف فيها بشكل واضح في النص القرآني ومنه قوله تعالى: **[فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ]**، فقد قال الزمخشري في هذا السياق فإن قلت: أين جواب لما؟ قلت: هو محذوف تقديره: **[فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ]** **[وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ]** كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واعتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الأنفس عليه من الثواب والإعراض ورضوانه الله الذي ليس وراءه مطلوب[1].

وكذلك يظهر الربط التركيبي في هذه الآيات بأداة الواو في قوله **[وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ]** ربط المقاطع المكونة للنص الكلي لبعضها البعض، فهنا يظهر كيفية تماسك أجزاء النص في الخطاب، والأهم دور أدوات التماسك في المحصلة الدلالية الناتجة عن انسجام الخطاب فضلا عن أثرها في تشكيل الخطاب أصلاً، فالربط ين الجمل في النص أو بين الأجزاء المكونة للنص أو بين النصوص الجزئية مظهر أساسي من مظاهر الربط التركيبي في الخطاب ومنه قيل: فالروابط التركيبية وسائل لغوية تُنسج الخيوط التي يتوسل بها الفكر في تنظيم عناصر عالم الخطاب عند الباث مركبا وعند المستقبل مفككاً وقد أوردت بعض الوسائل اللغوية في هذا النص القرآني في قوله **[قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ]** فافتتحت هذه الآية بحرف التحقيق أو التوقع لأن حال إبراهيم u أن يتوقع دلالة على الإرسال والتأكيد على التصديق، فجاءت الآية استئناف بين الرؤيا لسيدنا إبراهيم وتحمله البلاء العظيم، والامتثال إسماعيل لأمر ربه وطاعة والده.

وكذلك أورد اسم الإشارة أنه عنصر من عناصر الانسجام الخطابي في تماسك النص، فضلا عن تحقيق التطابق بين طرفي الإحالة ذلك بضم الأجزاء السابقة لهذا الجزء من النص إليه خطاباً واحداً، خطاب **[وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ]**، فالعنصر الإشاري (**هذا**) البلاء المبين، فاسم الإشارة مفرد ذلك لتحقيق التماسك والانسجام، وكذلك بالإحالة إلى مساحة من الخطاب المتعلق بقصة الذبيح أي ربط الخطاب بما بعده، وتعزيز موقفه

---

[1]- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المرجع السابق، ص 222.

المتعلق من النبي إبراهيم u، فالنص ينقل مشهداً حقيقي تجسد في الواقع، ويضم كذلك هذا النص فكرتين مهمتين جداً متصلتين، الأولى تتمثل في البلاء والاختبار بالذبح، والفكرة الثانية الدعاء لله بالذرية الصالحة، فجاء ترتيب ذكر هاتين القصتين في الخطاب القرآني فهذا تماسك وانسجام لتشكيل النسيج الخطابي.

وفي الحقيقة هذا هو البلاء والصبر عليه، فلم يكن المقصود بذبح الولد، ولكن المقصود ذبحه من قلبه، ليخلص القلب للرب، فلما بادر الخليل u إلى الامتثال، وقدم محبة الله على ولده، حصل المقصود فرُفع الذبح، وفُدي بذبح عظيم، فإن الله ما أمر بشيء، ثم أبطله رأساً، بل لا بد أن يبقيه بعضه أو بدله، كما أبقى شريعة الفداء، وكما أبقى استحباب الصدقة بين يدي المناجاة، ولتوضيح هذا المعنى أكثر أورد الشيخ قول ابن القيم فقال: منصب الخُلة منصب لا يقبل المزاحمة بغير المحبوب، وأخذُ الولد شعبةٌ من شعاب القلب، غار الحبيب على خليله أن يُسكن غيره في شعبة من شِعاب قلبه فأمره بذبحه، فلما أسلم للامتثال خرجت تلك المزاحمة، وخلَصَت المحبَّة لأهلها فجاءته البشرى **[وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ]**. وليس المراد أن يعذب ولكن يُبتلى ليهذب، ليس العجب من أمر الخليل بذبح الولد، إنما العجب من مباشرة الذبح بيده، ولولا الاستغراق في حب الآمر؛ لما هان مثل هذا المأمور، فلذلك جُعلت آثارهما مثابة للقلوب تحن إليها أعظم من حنين الطيور إلى أوكارها[1].

ويروى أن إسماعيل u قال لأبيه: يا أبتاه؛ إذا أردت ذبحي فاشدد وثاقي لئلا يصيبك شيء من دمي فينقص أجري، وإن الموت لشديد، ولا آمن أن أضطرب عنده إذا وجدت مسّه، فاشحذ شفرتك حتى تجهز عليّ، فإذا أنت أضجعتني لتذبحني فاكببني على وجهي ولا تضجعني لجنبي، فإني أخشى إن أنت نظرت إلى وجهي أن تدركك الرقّة فتحول بينك وبين أمر ربك فيّ، وإن رأيت أن تردّ قميصي إلى أمي فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني فافعل[2].

إن الشيخ اعتمد في المعنى الإجمالي لتفسير الآيات السالف ذكرها على أسلوب الحوار القصصي، وقد قسمها إلى ثلاث تفريعات وفصل ووضح الأحكام الشرعية، واستدل بالأحاديث النبوية وأقوال بعض العلماء، فتعد أراء المفسرين القدامى أهم المعالم التي يستشهد بها في تفسير الآيات، باعتبار تفسير القرآن الميزة الأولى التي فجرت الدرس اللغوي واهتم اللغويون به خاصة العرب بتوظيفه في جميع المستويات اللغوية التي تندرج ضمن الخطاب القرآني، وركزوا على التفسير والتأويل لما يضمه القرآن الكريم بين ثناياه للوصول إلى الدلالة ولاستقراء آياته بحيث لا يخرج عن مضامين الخطاب المقدس، فيعد الخطاب ميكانيزم لغوي له دوافع إفهامية تساهم في إسناد الدورة التواصلية تستلزم طرفين متناسقين وقابلين لعملية إنشاء الخطاب؛

---

[1]- أبو عبد الله محمد ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية، بدون سنة نشر، ج 3، ص 1198.

[2]-التواتي بن التواتي، الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين، المرجع السابق، المجلد 16، ص 152.

وهذا ما انتهجه الشيخ في تحليله لقصة الذبيح موضحاً الخطاب الذي أورد في هذه الآيات، المتمثل في أمر من الله (**رؤية**) والخطاب موجه من إبراهيم u إلى ابنه إسماعيل u، فجاء التعبير في أن يكون إبراهيم u رأى عين ما أمر به من الله.

فمجمل الخطاب (خطاب الأب **–يا بني–**) موجه من إبراهيم u إلى ابنه إسماعيل u وذلك بذبحه، فإن قدُم على الفعل (**ذبحه**) وهو في حال قيامه بالفعل نسُخ عنه، لأنه لم يفعل ولو كان ترك ما حضور وقته لا كان عاصياً، ما كان يُطلق عليه بلاء مبين وما احتاج إلى الفداء، وجاء الجواب من سيدنا إسماعيل u بلا تردد –فافعل ما تؤمر به من ربك بذبحي–، فتحليل الخطاب يتمثل في تلقي إسماعيل u الرسالة المبعوثة بغية الوصول إلى المقصود وإلزاميته وهو الذبح، فوجه الخطاب هنا التنفيذ وإتمامه على أكمل وجه دون التريث أو طلب الإمهال.

فحقيقة الكلام تقتضي تقدم الأمر وهو غير مذكور، فإمّا أن يكون قد فهم من كلامه u أنه رأى أنه يذبحه مأموراً أو علم أنّ رؤيا الأنبياء حق وأن مثل ذلك لا يقدمون عليه إلا بأمر، أو أخبره بأمر الرؤية فعلم لعلمه بمقام أبيه وإنه ممن لا يجد الشيطان سبيلا بإلقاء الخيالات الباطلة إليه في المنام أنه سيكون ذلك ولا يكون إلا بأمر إلهي فقال له افعل ما تؤمر به من الذبح الذي رأيتك في منامك[1].

إن الخطاب القرآني اتخذ التفسير كآلية للتحليل لأنه يلج في غور المدونة القرآنية ويبحث في انسجام النص القرآني، وهذا ما تميز به الشيخ في اعتماده على الإستراتيجية التداولية والافتراضات المسبقة والألفاظ المشبعة بالحجج الاستشهاد واستحضار القرائن المعينة على فهم مراد الله U، كما واظب على إبراز الأحكام واستنباطها مستدلا بأحاديث نبوية في تحليله، وبين المواعظ التي فيها والعبر المستخلصة منها.

رابعا: التفريع الفقهي: إن الشيخ تطرق إلى التفريع الفقهي لقصة الذبيح، مستهلاً التفسير الفقهي بشعيرة من شعائر الله وهي الذبيحة السنة التي سنها أبونا إبراهيم u حين فدى الله ولده بذبح عظيم، وهي من خيرات القربات التي ذكرها الله في نصوصه معروفة لدى الناس عملا وعلما، حتى إن العلماء من قال بأنها واجبة على الموسر، والجمهور منهم على أناه سنة مؤكدة[2].

فالشيخ لم يخالف في بعض المسائل الفقهية جمهور أئمة المذهب المالكي، فهو تشرب لأصول هذا المذهب وفروعه في ثنايا تفسيره وتوسع فيه فقد عالج هذه المسائل بطريقة فقهية توافق وروح الإسلام، ومنهم سأل أحدهم الشيخ عن جدلية الذبيح هل هو إسماعيل u أم إسحاق u مركزاً على قراءته لتفسير

---

[1]–أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان–، ط 1، 1994، المجلد 12، ص 124.

[2]–التواتي بن التواتي، الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين، المرجع السابق، المجلد 16، ص 154.

القرطبي، لكنه ألح على الشيخ الإجابة بإظهار الحقيقة، فرد الشيخ على السائل: قبل مجيء إلى هذه الجلسة المقررة للتفسير نظرت في كثير من التفاسير منها: تفسير الرازي، وتفسير القرطبي الذي أشار إليه السائل وغيرها من التفاسير إلا أني وجدت أرجح الأقوال ما ذهب إليه ابن كثير في تفسيره فقال: إن قوله تعالى: **[فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ]**[1]، وهذا الغلام هو إسماعيل u فإنه أول ولد بشر به إبراهيم u وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل في نص كتابهم أن إسماعيل u ولد ولإبراهيم u ست وثمانون سنة وولد إسحاق وعمر إبراهيم u تسع وتسعون سنة، وعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده[2]، وإن كل آيات القصة هنا وكذا ترتيبها يقتضي أن الذبيح هو إسماعيل u ومما يدل على أن الذبيح إسماعيل u في غير آيات هذه القصة لقوله تعالى في سورة البقرة **[أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]**[3]، وأضاف الشيخ رأي المخالفين الذي أقحموا أن إسحاق u هو الذبيح وقد قال هذا كذبا وبهتانا وهو مخالف لنص كتابهم، فاستدلوا على أن إسحاق أبوهم وإسماعيل أبو العرب فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك، بمعنى الذي ليس عندك غيره فإن إسماعيل u كما ذهب به وبأمه إلى مكة وهو تأويل وتحريف باطلٌ فإنه لا يقال وحيدك إلا لمن ليس له غيره، وأيضا فإن أول ولد له بعزه ما ليس لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه أبلغ ي الابتلاء والاختبار[4].

إن الشيخ في المسائل الفقهية لا يكاد يغفل حكماً فقهيا إلا وأورده ولا يخرج عن تفاسير العلماء حيث يقف عند ذكر الأحكام كلها، واعتمد على تفسير ابن كثير أكثر بحيث يفصل في الأحكام بتفسيره للآيات بشكل بسيط وطويل وذلك لإيراد المعنى الفقهي المتعلق بها، سواء الظاهر من نص الآية أو المتعلقة بموضوعاتها إذ يجمع بين إيراد العلماء واختلافهم، وإيراد الأحاديث والأدلة، ويتبينه آراء المذهب المالكي للتحقيق والترجيح في المسائل مستدلا بالحجج والأدلة العقلية والنقلية، وختمها بمجموعة من الفوائد المستخلصة من السورة باعتباره فقيهاً حاول أن يسلك طريقاً رشداً، يجمع بين الأحكام الشرعية وتفاصلها وفقه القلوب وإحيائها، ومن بين النعم التي تجلت في السورة عظمة الخالق ومهمة الرسل التي كُلفوا بها من الله بأصول الدين وأنها سلسلة بدءا بسيدنا نوح u إلى خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، في الدعوة إلى توحيد الله والسير عن الأنبياء السابقين، فقد أمر صفوة الخالق أن يقتدي بهداهم، وأن

---

[1]-سورة الصافات، الآية 101.

[2]-التواتي بن التواتي، الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين، المرجع السابق، المجلد 16، ص 154. وانظر أيضا: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، المرجع السابق، ج 4، ص 15.

[3]-سورة البقرة، الآية 133.

[4]- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، المرجع السابق، ج 4، ص 15.

إبراهيم u كان من شيعة نوح لقوله تعالى [وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ][1]، كما أكدت على إثبات وحدانية الله لما ابتلي سيدنا إبراهيم u بقومه وبعبادتهم للأصنام، لكن الله ثبته على الأمر وهو أول ما يقتدى به بعد تلك البلاءات الكثيرة من الأوامر والنواهي لما تضمنته من الأب الصالح والابن البار، وقد أوضح أيضا إلى الصبر على قومه في أذيتهم له ونجاه الله من حسدهم ومكرهم –نجاه من النار– مما اضطر إلى الهجرة كما قيل الهجرة النفسية قبل المكـانية بعد أن رأى أن أرض قومه ير صالحة أن تنبت نباتاً حسناً، بع ذلك الجهد فقال الرازي: لما بالغ إبراهيم في الإرشاد ولم يهتد قومه، وحصل اليأس الكلي حيث رأى القوم الآية الكبرى ولم يؤمنوا وجبت المهاجرة، لأن الهادي إذا هدى قومه ولم ينتفعوا فبقاؤه منهم مفسدة لأنه إن دام على الإرشـاد كان اشتغـالا بما لا ينتفع به من علمه فيصيـر كمن يقـول للحجر صدق وهو عبث أو يسكت والسكوت دليل الرضا فيقال بأنه صار منا ورضى بأفعالنا، وإذا لم يبق لإقامة وجه وجبت المهـاجرة[2]، وبعد الهجرة أصبح بحـاجة مـاسة إلى من سيؤنسه بعد هذه الهجرة فكان u اللجوء إلى الله بان يرزقه الذرية الصالحة لقوله رب هب لي من الصالحين فستجاب دعائه وجاءته البشارة فقال فبشرناه بغلام حليم والحلم خلق كريم عزيز والحوار الهادئ اللطيف بين الآباء والأبناء للوصول إلى النتائج المرضية ورحمة الآباء للبناء والتلطف معهم في الخطاب وكلما عظم بلاؤه عظم أجره وعواقب الصبر على البلاء محمودة والصدق الذي هو رح الأعمال ومحك الأحوال والحامل على اقتحام الأهوال والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الحلال وبه تنال الإمامة في الدين فضل الله تعالى وإحسانه لا يقتصر على أنبيائه بل هو سنة إلهية وهبة ربانية لجميع أوليائه.

كما أن الشيـخ اهتدى بالحجج والبراهيـن والأحـاديث النبوية في تسمية الذبيـح ومنه جـاء عن عبد الله الصنـابحي، قـال: حضرنـا مجلس معـاوية بن أبي سفيـان فتذاكـر إسمـاعيـل وإسحـاق بن إبراهيم، فقال بعضهم: الذبيح إسماعيل، وقال بعضهم: بل إسحاق الذبيح، فقال معاوية: سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله ﷺ، فأتاه الأعرابي، فقال: يا رسول الله ﷺ خلفت البلاد يابسة والماء يـابساً هلك المـال، وضاع العيال فعُد علي بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فتبسم رسول الله ﷺ، ولم ينكر عليه، فقلنـا: يا أمير المؤمنيـن، وما الذبيحان؟ قال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمـزم، نذر لله إن سهل أمرهـا أن ينحر بعض ولده فأخرجهم فأسهـم بينهم، فخرج السهـم لعبد الله، فأراد ذبحـه فمنعه أخواله من بني مخـزوم، وقالـوا: ارض ربك وافد ابنك، قـال: ففـداه بمائة ناقة، قال: فهو الذبيح وإسماعيل الثاني[3].

---

[1]–سورة الصافات، الآية 83.

[2]–محمد الرازي فخر الدين، المرجع السابق، ص 56.

[3]–الإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1997، ج 2، رقم الحديث 4094، ص 652.

بالإضافة إلى أن الله تعالى لما قص قصة الذبيح، قال: في آخر القصة **[وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ]** ثم قال: **[سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ]**[1]، أي على الذبيح وهو إسماعيل u **وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ**u كنى عنه؛ لأنه قد تقدم ذكره ثم قال: **[وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا]** فدل على أنها ذرية إسماعيل وإسحاق، وليس تختلف الرواة في أن إسماعيل كان أكبر من إسحاق بثلاثة عشرة سنة[2].

فقد اعتمد الشيخ على خاصية من خصائص الخطاب القرآني وهو الجدل أو المناظرة، أي الجدال حول الذبيح إسماعيل أو إسحاق عليهما السلام، فالنص القرآني يدعو إلى مجادلة أعداء الحق بالحجة والبرهان والأهم في تتبع خطاب الجدل القرآني والحوارية تقتضي الثنائية التي يعتمد عليها في تحليل الخطاب القرآني، فتشترك عدة مناهج تتكامل وتتداخل وتتقاطع لتصوغ مبادئه وتقوم باستكشاف آليات تماسكه وترابطه بوصف الحجاجي ظاهرة تتجسد في الخطاب وينتج بدوره بها، لذلك تنوع الحجاج القرآني من اللسانيات والبراغماتية والبلاغة، وما أريد في آية الجدل بتبادل المجادلين الأدوار في إرسال الخطاب واستقباله وينقل القرآن أقوالهم وحججهم، معتمداً على الأداة اللغوية والملفوظات (**قال ، نادى، أرى، افعل**....) ، فوظف المفسرون هذه الأدوات اللغوية على غيرها من الأدوات في التعامل مع النص، والغاية منه لفهم النص وكشف أسرار قوته لا تحليله، إنما التحليل وسيلة يتوصل بها إلى الغاية.

فالقرآن حريص على أن يختار من الأحداث ما كاد أقواها تأثيرا في النفس وأكثرها استجابة للغرض الديني فيقول السيد قطب لقد رسم القرآن في خلال تعبيره عن الأغراض الدينية في عشرات من النماذج الإنسانية بسهولة ويسر واختصار، تارة تكون هذه النماذج صورة للجنس الإنساني كله، وتارة تكون صورة لأفراد منه مكرورين، وهي في كلتا الحالتين نماذج خالدة لا يخطئها الإنسان في كل مجتمع وفي كل جيل ولكن المعجزة الفنية في التصوير، جعلت هذه النماذج أبدية خالدة تتخطى الزمان والمكان وتتجاوز القرون والأجيال[3]، وأن نموذج الخبر في القصة القرآنية يتسم بالصدق والصبر وبر الوالدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح والورع والامتثال لأوامر الله تعالى ونواهيه والعفة والشرف، وهذا ما تفرد به أسلوب الخطاب القرآني في قصة الذبيح فكان خطابا لفظيا متعاليا يمتلك فضاء داخليا ذو مقومات

---

[1]-سورة الصافات، الآيات 109 – 112.

[2]-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان–، ط 1، 2016، ج 18، ص 81.

[3]-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، المرجع السابق، ص 216.

وأسس تتمثل في حركة الحوار بين المخاطبين، فقد احتوى على كثير من الأفعال الكلامية التي أنجزتها هذه الشخصيات فقد برز البعد الفكري والنفسي في شخصية إبراهيم u بوصفه حليما أواه منيب راشد ذو قلب سليم، يمتثل لأوامر ربه ويقدمها على مشاعره وعواطفه الأبوية وعقيدته فوق روابط الأبوة والنبوة وفوق مشاعر الحلم والسماحة[1]، متفان ومخلص في كل ما يكلف به، واتضح الخطاب في مناجاة ربه من خلال دعائه وتضرعه خفية بالرغبة في الذرية الصالحة، فالحوار يعتمد على حكاية مقولات القائلين ونقلها على ألسنتهم، فالحوار الوارد في قصة الذبيح من النوع القصير غير الممتد بالغ التركيز جامع لأجزاء الحدث كلها متضمن على الخصوصية الجوهرية التي توافرت في القران جعلت منه خطابا حجاجيا مستعينا بالأساليب التي تؤمن هذه الغايات كالآليات اللغوية والبلاغية، أن النص القرآني أولى النصوص بالعناية والاهتمام، وهذا باب كبير من أبواب العلم، فقال الحافظ أبو فرج ابن لجوزي لما كان القران العزيز اشرف العلوم كان الفهم لمعانيه أوفى المفهوم، لأن شرف العلم يشرف العلوم إذ نجد في المناهج الحديثة نصية جديدة تقوم على الالتماس مواطن الانسجام و التماسك في بناء النص القرآني، ما اهتم به الشيخ في تناوله لقضايا علوم القران متعمقا فيها والبحث عن عناصر التساند في البنية اللفظية والمضمون الدلالي والمقاصد الشرعية التي توصل إلى الفهم السليم للنص القرآني، وبالتالي يظهر التحليل القرآني للقصة القرآنية من خلال الشخصيات المنسجمة مع ذاتها ومع تصرفاتها أو الأعمال الصادرة عنها، وتبقى طوال الإحداث التي يسردها القرآن ذات وجه واحد وموقف واحد تجاه الخير أو الشر[2]، ولا تتجدد ملامح هذا التحليل إلا من خلال أعماله وسلوكياته في القصة وما يسند إليه من وظائف منتقاة مما يغلب المقاصد الأغراض فالخطاب القرآني يركز اهتمامه على كل ما يسهم في انسجام النص وربطه بواقعه وفي ضمان استمراره أو ثباته، وإن كان على حساب النص مع ذاته من موطن لآخر فيعتبر نسيج لغوي يمثل وحدة دلالية تؤدي وظيفة في سياق تواصلي معتمداً على معايير منها الاتساق، التماسك، القصدية، المقبولية، والمقامية .....كما تتضمن هذه المعايير مراعاة

---

[1]- نضال محمد فتحي الشمائي، نماذج الأب في الخطاب القصصي للقرآن الكريم، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن، المجلد 11، العدد 01، 2015، ص 234.

[2]-العدوي محمد خير محمود، معالم القصة فى القرآن الكريم، دار العدوى، عمان –الأردن–، 2009، ص 55.

الناص والمتلقي والسياق والنواحي الشكلية والدلالية المرافقة لإنتاج النص مراعيا الجوانب التركيبية في تحليله ودراسته وهذا ما اعتمد عليه الشيخ في تحليله لقصة الذبيح.

الخاتمة:

حاولنا في هذه الدراسة الكشف عن آليات التحليل في الخطاب القرآني في قصة الذبيح من خلال تحليل وتفسير آيات القرآنية وفق معطيات تحليل الخطاب الداخلية والخارجية والسياق وبيان مدى فعالية الانسجام التداولي في القرآن، وقد تم التوصل إلى مجموعة من النتائج نجملها في ما يلي:

1. اتسم الشيخ بالمنهج المعاصر من خلال التأويل الدلالي للخطاب القرآني من حيث توجيه الأقوال وترجيح بعضها والاهتمام بتقريب المعاني التي تحتملها الآيات القرآنية والاهتمام بالقراءات مع ذكر الآثار الواردة في التفسير

والاعتماد على لغة العرب وأقوال النحويين واللغويين، والإكثار من النقل عن مفسري الأثر، الأمر الذي اتبعه مفسرو المعاني التعليل والقياس.

2. إن الخطاب القرآني خطاب حجاجي بامتياز ذلك أن القرآن كلام موجه للعالمين، وبين أثر الألفاظ في المعنى من ناحية الإلف اللغوي والاستعمال الأسلوبي.
3. إبراز دلالة اللفظة القرآنية والاشتقاق اللغوي الذي يكمن في جمالية الخطاب القرآني.
4. حركة التحليل والتفسير تحدد الغاية التأويلية للنص القرآني مما له دلالة من خلال عناصر ومقومات كالاتساق والانسجام والأفعال الكلامية والمقام والبنية التركيبية...إلخ.
5. تحليل الخطاب القرآني يهتم بالبحث عن التطور الدلالي للفظة القرآنية مبينا الأبعاد الدلالية كالصوتية والاجتماعية والوصفية...إلخ.
6. ألفاظ وتحليل الخطاب القرآني متناسقة مع مقتضيات الحال في طريقة الاستعمال.
7. الخطاب القرآني الذي ورد في آيات الذبيح نموذجا صادقا كليا على أفراد كثيرين عبر الزمان والمكان، كما أن توظيفها إحياء القيم والاتجاهات السامية لإصلاح المجتمع متخذة دور الشاهد على الإنسانية إذ تشكل رمزا للكشف عن الاستعداد النفسي في الصبر على الابتلاء.
8. -تحليل هذه الآيات بيّن الغرض الديني الذي وظفت الشخصية من أجله، وكان إضمار المعاني من خلال الفاعلين ويهدف هذا الإضمار بفتح مجال التأويل ويخدم المقصد الديني.
9. -تحليل الخطاب القرآني يخص البناء التركيبي لنسج العبارات ومهارة الإبداع الاستعمالي في تخير اللفظ المنتقى الذي ينساب انسجاما مع السياق العام والغاية الموضوعية والإعجاز الأسلوبي والإبداع البلاغي ونتاج البيان التفسيري.
10. -يساهم تحليل الخطاب القرآني في نجاح الرسالة اللغوية بين المرسل والمرسل إليه وإظهار مدى الانسجام التواصلي بين أطراف العملية التواصلية، ويضم هذا التحليل الأساليب البلاغية التي تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية من خلال الأفعال الكلامية التي تتمركز على العمال اللغوية وذلك لرصد التعدد الأغراض

الكلامية بالنسبة للعبارة اللغوية الواحدة (معنى حقيقي – مجازي) بغية الدراسة الوظيفية وتحديد المقامات التي ترد فيها تلك المعاني بغرض فهم النص القرآني.

أما التوصيات التي يمكننا أن نوصي بها هي كالآتي:

1. يجب على الباحثين اهتمام بموضوع تحليل الخطاب في القرآن الكريم، لأنه موضوع قيم وشامل، ويعتبر منهجا حديثا للدراسات الأدبية والقرآنية.
2. على الباحثين الاهتمام بالعلماء والمفكرين الجزائريين في دراستهم الأدبية والقرآنية، من أجل إبرازهم في الساحة العلمية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا:-القرآن الكريم.

ثانيا: المصادر.

01- ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، تقديم وتحقيق، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القسم الثاني، الطبعة الثانية، 1957.

02- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1986.

03-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الملقب بابن منظور، لسان العرب، دار صادر –بيروت، لبنان، المجلد الأول، بدون سنة نشر.

04-أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان-، الطبعة الأولى، 1994.

05-أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، أساس البلاغة، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، 1998.

06-أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 2009.

07-أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، 1971.

08-أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان-، 2003.

09-أبو عبد الله محمد ابن القيم الجوزية، التبيان في أيمان القرآن، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية، ط 1، 1429 هـ.

10-أبو عبد الله محمد ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية، بدون سنة نشر.

11-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان-، ط 1، 2016.

12-أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، دار إحياء الكتب العربية –عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط 1، 1952. .

13-أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، ط 1، 1946.

14-الإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1997.

15-التواتي بن التواتي، الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين، المجلد 16، دار الحكمة، الجزائر، ط 1، 2016.

16-بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الحديث، القاهرة، 2006.

17-برهان الدين أبي الحسن البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984.

18-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 17، 2004.

19-سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، المجلد 4، ج 17، ط 32، 2003.

20-شهاب الدين الخفاجي المصري، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، وبهامشه شرح الشفا لعلي القاري رحمه الله، ج 2، المطبعة الأزهرية المصرية، ط 1، 1337 هـ.

21-علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج 1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، السعودية، ط 1، 2003.

22-عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، مؤسسة الكتب الثقافية، ط 5، 1996.

23-مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004.

24-محمد الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب تفسير الفخر الرازي، ج 18، دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع، ط 1، 1981.

25-محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 11، دار التونسية، تونس، 1984.

26-محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المجلد 3، دار القرآن الكريم، بيروت، ط 4، 1981.

27-مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسن، الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، الطبعة العامرية – تركيا-، بدون سنة نشر.

ثالثا: المراجع:

01-أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، منشورات كلية العلوم والآداب الإنسانية، الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 19.

02-إدريس حمادي، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط 1، 1994.

03-إديث كرزويل، ترجمة جابر عصفور، عصر البنيوية، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 1، 1993.

04-الإمام الجويني، الكافية في الجدل، طُبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1979.

05-التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وأثرها في النحو والفقه الإسلامي، دار الوعي، 2008.

06-العدوي محمد خير محمود، معالم القصة في القرآن الكريم، دار العدوى، عمان –الأردن-، 2009.

07-حسني محمد العطار، الحوار في القرآن الكريم دراسة ونموذجاً، مطبعة نافذ للطباعة والنشر، فلسطين، الطبعة الأولى،2021.

08-حسين جمعة، التقابل الجمالي في النص القرآني، دار النمير، دمشق، الطبعة الأولى، 2005.

09-سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع –بيروت-، الطبعة الثالثة، 1997.

10-سليمان عشراتي، الخطاب القرآني (مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي)، ديوان المطبوعات الجامعية –بن عكنون- الجزائر، 1998.

11-سيد زكي خليل إبراهيم، تفسير سورة الصافات –دراسة تحليلية-، مطبعة رشوان، القاهرة، 2003.

12-صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفاروق، عمان –الأردن، ط 1، 2016.

13-عبد الفتاح رواس قلعة جي، مدخل إلى علم الجمال الإسلامي، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1991.

14-عبد القادر محمد المعتصم دهمان، أساليب الخطاب في القرآن الكريم –دراسة تتناول تنوع أساليب الخطاب وأساليب الإنشاء الطلبي في القرآن الكريم-، طبع بمجلة

الـــوعي الإســـلامي، تصـــدرها وزارة الأوقـــاف والشـــؤون الإســـلامية، الكويـــت، ط 1، 2015.

15–عبـــده عبـــد الله الحميـــدي، الحـــوار في القـــرآن الكريـــم –دراســـة في ضـــوء التفسيـــر الموضـوعـــي والتحليـــلي للقـــرآن الكريـــم، بـــدون دار نشـــر، ج 1، 2007.

16–عشـتار داوود محمـد، الإشـارة الجماليـة في المثـل القـرآني، منشـورات اتحـاد الكتـاب العرب، دمشق، 2005.

17–علمـي عبـد الله، سمـات الخطـاب القـرآني –دراسـة في الأسـلوب–، مركـز البصيـرة للبحوث والاستشـارات والخدمـات التعلمية، دار المنظومة، 2019.

18–عيـد سـعد يـونس، التصـوير الجمـالي في القـرآن الكـريم، عـالم الكتـب، القـاهرة، ط 1، 2006.

19–فهـد بـن عبـد الـرحمن بـن سـليمان الرومـي، خصـائص القـرآن الكـريم، مكتبـة العبيكان، الرياض، 2000.

20–كـاظم الظـواهري، الإضـمار القصصـي في القـرآن الكـريم، دار الهدايـة، القـاهرة، ط 1، 1991.

21–لطفـي فكـري محمـد الجـودي، جماليـات الخطـاب في الـنص القـرآني –قـراءة تحليليـة في مظـاهر الرؤيـة وآليـات التكـوين–، مؤسسـة المختـار للنشـر والتوزيـع، القـاهرة، ط 1، 2014.

22–مالك بين نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، ط 4، 2000.

23–مبروك بن عيسى، التسوير في القرآن الكريم، دار الخلدونية، الجزائر، 2020.

24–محمـد سـيد طنطـاوي، أدب الحـوار في الإسـلام، نهضـة مصـر للطباعـة والنشـر، القاهرة، 1997.

25–محمـد عبـد العظـيم الزرقـاني، مناهـل العرفـان في علـوم القـرآن، دار الكتـاب العـربي، ط 1، 1995.

26–محمـد عبـد الله دراز، النبـأ العظـيم –نظـرات جديـدة في القـرآن–، دار القلـم – الكويت–، 2008.

27–محمـد علـي التهـانوي، كشـاف اصـطلاحات الفنـون والعلـوم، ج 1، مكتبـة لبنـان –بيروت–، 1996.

28-مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية – بيروت- لبنان، 2003.

29-ميشال فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير، بيروت –لبنان، 2010.

30-نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنارة، السعودية، ط 1، 1991.

رابعا: المقالات

01-إيمان جربوعة، آليات تحليل الخطاب القرآني في ضوء المناهج اللسانية الحديثة –قراءة في بعض إجراءات المنهج التداولي، مجلة رفوف، جامعة أدرار، الجزائر، 2016.

02-خالق داد مالك، معين الحق، الخطاب القرآني وأنواعه –دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني-، مجلة القسم العربي، جامعة بينجاب، لاهور –باكستان-، -2015.

03-خولة صالح صهيود، جماليات بلاغية في سورة الصافات، مجلة ديالي، جامعة القادسية، العراق، 2021.

04-رمضان خميس زكي الغريب، منهج القرآن في غرس قيم الجمال في الإنسان، مجلة أبحاث ميسان، تصدر عن كلية التربية، جامعة ميسان، العراق، المجلد، 15، العدد 29، 2019.

05-زهراء خالد سعد الله العبيدي و نجلاء خليل إبراهيم، مقامات التنكير في سورة الصافات –دراسة تحليلية-، مجلة سر من رأى، جامعة سامراء، المجلد 9، العدد 35، السنة التاسعة، تشرين الثاني، 2013.

06-زينة فاضل مهدي و مرتضى جبار عبد نصار الجنابي، برنامج مقترح قائم على تحليل الخطاب القرآني لتنمية مهارات التذوق الأدبي لدى طلاب المرحلة الثانوية، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية،2019.

07-شيماء عبد الحسين إبراهيم الحجامي، سورة الصافات –دراسة في النسق التركيبي-، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، تصدر عن كلية الآداب، جامعة واسط، العراق، 2017.

08-فاتح الزيوان، مصطلحات للخطاب والنص، مجلة كتابات معاصرة، ع 70، 2000.

09-مختار درقاوي، حيزية كروش، تحليل الخطاب القرآني في ضوء المنهج السيميائي، مجلة العمدة في ليسانيات وتحليل الخطاب، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، 2017.

10-نضال محمد فتحي الشمائي، نماذج الأب في الخطاب القصصي للقرآن الكريم، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن، 2015.

11-نعمان شعبان علوان، التحليل البياني لأبلغ آية في كتاب الله **[وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]**، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنساني، 2010.

خامسا: الأطروحات والمذكرات

01-بن يحي ناعوس، تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص –دراسة تطبيقية في سورة البقرة–، أطروحة دكتوراه في لسانيات النص، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2013/2012.

02-علي زيتونة مسعود، التقابل في القرآن الكريم بين الجمالية والدلالية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في" علوم اللسان العربي"، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة، 2016 / 2017.

03-محفوظ حاج إبراهيم، اتجاهات التفسير في الجزائر في العصر الحديث (التواتي وكعباش أنموذجاً)، أطروحة دكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الأردن، 2018.

04-محمد بوهند، جماليات الخطاب القرآني وإعجازه البياني دراسة بلاغية لآيات الأسماء الحسنى، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القرآن الكريم والدراسات الأدبية، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية، جامعة تلمسان، 2017/2016.

05-محمد عبد اللاه عبده دبور، أسس بناء القصة من القرآن الكريم –دراسة أدبية ونقدية–، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بالمنوفية، قسم النقد والأدب، جامعة الأزهر الشريف، 1996.

06-إسماعيل زاوي، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق –قصص أولي العزم من الرسل عليهم السلام "أنموذجاً–، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير،

تخصص تحليل الخطاب وعلم النص، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، 2017/2016.

07- بالحيا فضيلة، تحليل الخطاب التعليمي لتلاميذ السنة الثانية متوسط في مادة اللغة العربية –مقاربة تداولية–، مذكرة لنيل شهادة ماستر في لسانيات الخطاب، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة سعيدة، 2017/2016.

08- بوملاح فاطمة، جواهرة زينب، سورة الصافات دراسة بلاغية أسلوبية، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في اللغة العربية، جامعة البويرة، 2009 / 2010.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ-ب-ت
الفصل الأول: الإطار المفاهيمي لتحليل الخطاب القرآني	05
المبحث الأول: ماهية تحليل الخطاب القرآني	05
المطلب الأول: مفهوم الخطاب القرآني	05
أولا: تعريف الخطاب لغة واصطلاحا	05
ثانيا: مفهوم الخطاب القرآني	08

ثالثا: مفهوم تحليل الخطاب القرآني	09
المطلب الثاني: أنواع الخطاب القرآني وخصائصه	11
أولا: أنواع الخطاب القرآني	11
ثانيا: خصائص الخطاب القرآني	14
المبحث الثاني: أنماط الخطاب القرآني وجمالياته	18
المطلب الأول: أنماط الخطاب القرآني	18
المطلب الثاني: جماليات الخطاب القرآني	24
أولا: البنية الإيقاعية	27
ثانيا: الاحتشاد المشهدي	27
الفصل الثاني: تحليل الخطاب القرآني في سورة الصافات (قصة الذبيح أنموذجاً)	33
المبحث الأول: الإطار المفاهيمي لسورة الصافات	33
المطلب الأول: تسمية ومناسبة السورة وفضلها	33
أولا: تسمية السورة	33
ثانيا: مناسبة السورة	34
ثالثا: فضل سورة الصافات	34
المطلب الثاني: مقاصد سورة الصافات وأساليبها	35
أولا: مقاصد السورة وأهدافها	35
ثانيا: الأساليب الواردة في سورة الصافات	37
المبحث الثاني: الخطاب القرآني لقصة الذبيح في تفسير التواتي بن التواتي	42
المطلب الأول: التعريف بالشيخ وتفسير الدّر الثّمين	42
أولا: السيرة الذاتية للشيخ	42
ثانيا: التعريف بالدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين	43
ثالثا: منهجية الشيخ في تفسيره	43
رابعا: خصائص الدّر الثّمين	44
المطلب الثاني: تحليل الخطاب القرآني لقصة الذبيح	45

في تفسير الدّر الثّمين	
أولا: التحليل اللغوي	45
ثانيا: أوجه القراءات	46
ثالثا: المعنى الإجمالي	47
رابعا: التفريع الفقهي	53
الخـــــاتمة	59
قائمة المصـــادر والمراجع	61
فهرس الموضوعات	68

الملخص

تناولت الدراسة تحليل الخطاب في القرآن الكريم عند التواتي بن التواتي من خلال تفسيره الدّر الثّمين في الكتاب المبين سورة الصافات –قصة الذبيح أنموذجا–حيث تعرضنا إلى الإطار المفاهيمي لتحليل الخطاب القرآني كما تضمن الحديث عن مفهوم الخطاب القرآني وأنواعه وخصائصه ثم أنماطه وجمالياته، ثم الوقوف على تحليل الخطاب القرآني في سورة الصافات متطرقا إلى تسمية السورة ومناسبة ثم دراسة الخطاب القرآني الوارد في قصة الذبيح مبينا نبذة عن الشيخ وتفسيره ومنهجية تحليله.

الكلمات المفتاحية: تحليل الخطاب، القرآن، التواتي بن التواتي، سورة الصافات، قصة الذبيح

Le résumé

L'étude a traité de l'analyse du discours dans le Saint Coran dans Al-Tawati bin al-Tawati à travers son interprétation du précieux dirham dans le livre montré dans Surat al-saffat - l'histoire du sacrifice comme modèle - où Nous avons été soumis au cadre conceptuel pour analyser le discours coranique. L'analyse du discours coranique dans la sourate al -Saffat fait référence au nom de la sourate et approprié, puis étudiant le discours coranique contenu dans l'histoire du sacrifice, indiquant un aperçu du cheikh, de son interprétation et de la méthodologie de son analyse.

Mots-clés: analyse du discours, Coran, Al -Tawati bin al -Tawati, Surat al -Saffat, l'histoire du sacrifice